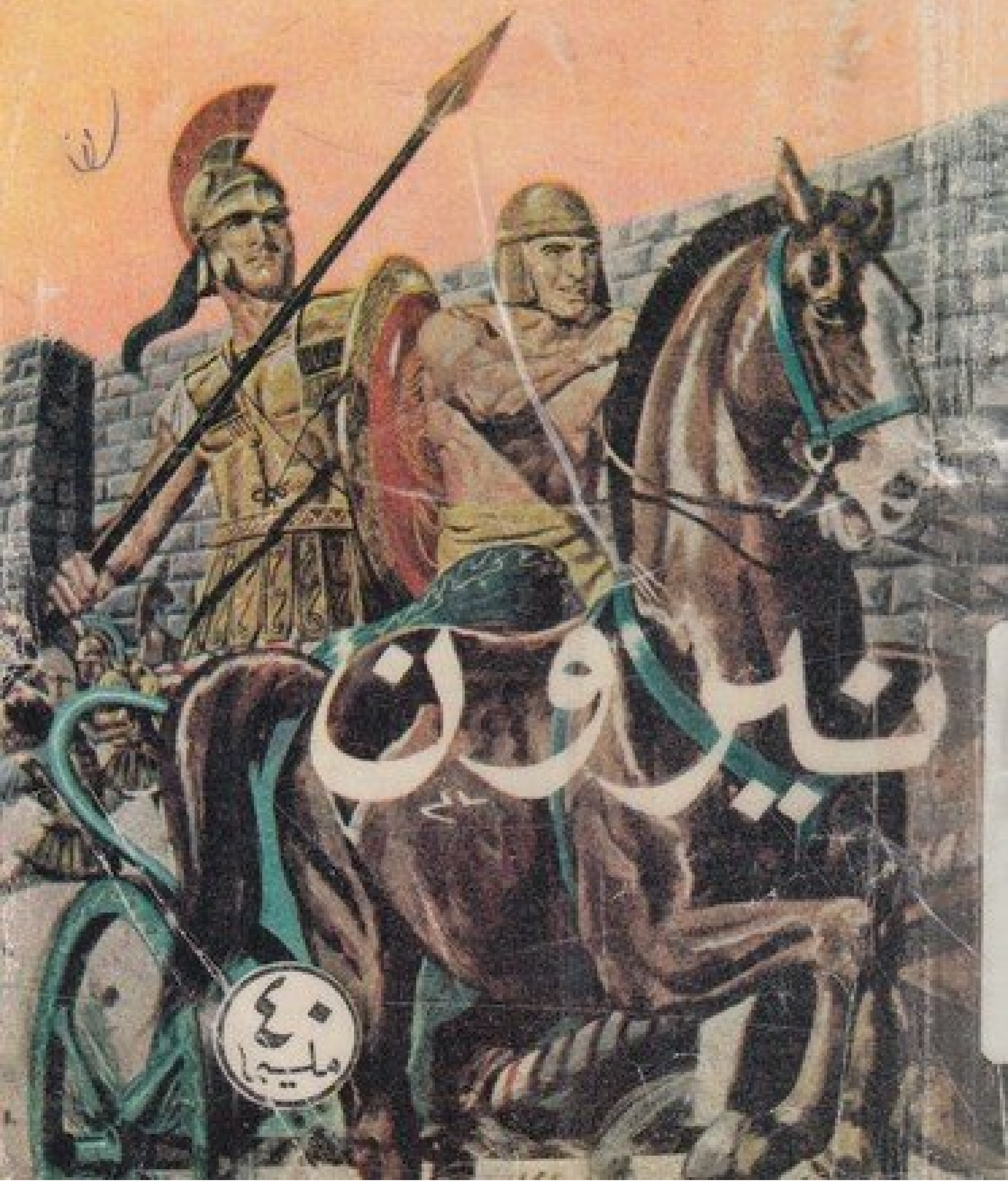
روايات عالمية



روايات عالمية

نيرون

قصة الرجل الذى احرق روما

للكاتب الفرنسى الكبير

إسكندر دوماس

الفصل الاول

في اليوم السابع من العام السابع والخمسين قبل الميلاد ، لثمانمائة وعشر سنين خلت من تأسيس روما ، اجتازت الباب الغربي لمدينة (كورنثه) فتاة في حوالى الخامسة أو السادسة عشرة من عمرها ، فارعة العود ، ممشوقة القد ، جميلة ! فانحسرت نحو شاطىء البحر ، حتى اذا بلغت في طريقها روضة تحد أحد جانبيها أشجار الزيتون ويحد الجانب الآخر منها جدول تنشر عليه أشجار البرتقال ظلالها ، توقفت تجمع بعض الازهار البرية ، ثم هرعت نحو الجدول فتهدلت خصلات شعرها على كتفيها ، وركعت عند ضفته تستقى ، فحانت منها التفاتة الى صورتها وقد انعكست على صفحة الماء ، فابتسمت راضية عن جمالها .. كانت فى الواقع من أجمل غادات اليونان ، تتجلى آيات السحر فى عينيها الدعجاوين المفعمتين بالفتنة ، وفى أنفها اليونانى ، وشفتيها العقيقتين ، وجسدها البض الملتف ، وقدميها الصغيرتين اللتين يخال الرائى أنهما لن تقويا على حمل جسمها .

واستغرقت الفتاة فى تأمل خيالها بضع لحظات .. ثم عمدت الى شعرها ففرقته ثلاث خصلات ، وعقصته ثم شبكته بأزهار البرتقال والغار ، وانكفأت ترتوى من الجدول فالتقت شفتاها بشفتى صورتها المنعكسة على صفحته ، فارتجف الماء كأنما أخذته النشوة .

وعندما اعتدلت واستوت على قدميها .. وقفت برهة جامدة يعتمل الفضول فى نفسها .. اذ لمحت مركبا كبيرا يتسلل الى الخليج .. وقد وشيت مقدمته بأسلاك الذهب

•• وراحت نســـمات البحر تداعب قلوعه الارجوانية •• وانطلقت المجاذيف من جانبيه تصافح الماء •• ومع أن المركب كان لا يزال على ربع ميل من البر •• الا أن أصوات ملاحية سرت الى مسمعي الفتاة •• تردد احدى أنشودات (نبتون) ـ اله البحر ـ في رقة وعذوبة ناعمة •• لا قبـــل لاصوات البحارة الخشنة بها • وهفت الانغـــام بمشاعر الكورنثية الحسناء •• فاقتطعت بعض فروع البرتقـــال والزيتون ثم تقدمت في خطوات بطيئة من الشاطىء •• يحدوها الفضول •• بينما كانت أصابعها تضفر فروع الزهور • فلما بلغت الشـــاطىء •• كان المركب قد ازداد منه اقترابا •• حتى استطاعت الفتاة أن تتبين وجوه الموســـيقيين وأن تميز بين الاصوات المختلفة التى كانت تردد (لازمة) الانشودة •• صوت المغنى الذى كان يترنم بمقاطعها •• والذى كان يقف عند مقدمة المركب •• حاملا قيثـــارة ذات أوتار ثلاثة وكان من الجلي أنه صاحب المركب وسيدها •• اذ رقد عند قدميه عبد لا يفضح ثوبه الاسيوى الطويل حقيقة جنسه فلم تدر أرجلا كان أم امرأة •• وأفلت المجذفون مجاذيفهم من أيديهم ووقفوا يصفقون في فترات منتظمة •• حامدين (نبتون) أن آتاهم ريحا طيبة •• ساقتهم الى بر الامان •

وأثار المنظر أقـــصى آيات الدهش والعجب في نفس الفتاة •• اذ لم تكن كورنثه في تلك الايام موئل المجـــد والابهة كما كانت في عهد (سنيلا) حين اغتبرت مزاحمـــة اثينا ومنافستها •• فقد اجتاحها الرومانيون سنة ١٤٦ قبل الميلاد •• فاعملوا السيوف في رقاب أهلها ، وباعوانساءها وأطفالها في أسواق الرقيق •• وأحرقوا بيوتها •• وهدموا أسوارها •• وحملوا تماثيلها الى روما •• كما فرشوا أبدع

رسومها ولوحاتها ·· أبسطة يسير عليها الجنود ·· ومع أن يوليوس قيصر أعاد تشييدها بعد ثمانين عاما ·· وبعثها من مواتها كمستعمرة رومانية ·· الا أنها كانت لا تزال بعيدة عن أن تستعيد ما كانت تستمتع به في غابرها من نعيم ورواء ·· ومن ثم رأى القنصل الرومانى العام ـ وكان بمثابة الحاكم ـ أن يعقد فيها مباريات عامة في المصارعة ·· وسباق العربات ·· والغناء فى اليوم العاشر من مايو ـ من ذلك العام ـ والايام التى تليه ·· عسى أن يعيد بهذه المحاولة اليها مجدها القديم ·· وفعلا أقبلت على المدينة منذ بدأ الشهر ·· وفود من الاغراب والاجانب المتباينى الاجناس ·· يحدوهم الفضول ·· أو يتنازعهم الطمع فى الفوز بتيجان البطولة فى هذه المباريات ·· ووصل بعضهم فى عربات مطهمة ·· بينما قدم بعض آخر على صهوات الجياد ·· ومنهم من أقبلوا فى سفن استأجروها ·· أو اصطنعوها لهذه المناسبة ·· ولكن موكبا من هذه المواكب لم يبلغ فى روعته وأبهته ما بلغته تلك السفينة التى وقفت الفتاة ترقبها وهى تمس البر ··

وأسرع الملاحون يمدون من مقدمة المركب سلما مطعما بالنحاس والفضة ، فرفع المغنى قيثارته فوق كتفه ، ثم هبط الى البر متكئا على كتف العبد الذى كان يقبع عند قدميه وتبينت الفتاة ان السيد شاب وسيم فى حوالى الثامنة والعشرين من عمره أصفر الشعر ، أزرق العينين ، ذو لحية فى لون الذهب الخالص ، وقد ارتدى سروالا ارجوانيا ، وصديريا أزرق موشى بخيوط الذهب والقصب ، ووشاحا أحاط بعنقه وتدلى طرفاه حتى منطقته ·· أما العبد فكان يصغر سيده بعشر سنين ·· فتى يافعا ، تزخر عيناه

بفيض من الحزن المكتوم والاسى الدفين : وتكاد قسماته أن تشبه قسمات فتاة غضة الاهاب ، كما تبدت بشرته غضة تزرى ببشرة أجمل غواني أثينا وأكثرهن غضارة وطراوة .. وكان يكتسى برداء أبيض فضفاض ، طرز صدره بوشي من الذهب وامتد طرفه الى حذاء الركبتين .. وتهدل شعر الفتى على كتفين انحسر الثوب عنهما فتركهما عاريتين ، وتدلت من عنقه مرآة علقت في سلسلة ذهبية ، ورصع اطارها بالجواهر والاحجار الكريمة واذا أوشك العبد ان يطأ البر ، اجتذبه سيده في عنف فأجفل ، ثم تساءل في صوت رقيق وجل : ماذا حدث يا مولاى ؟

ـ كدت تطأ البر بقدمك اليسرى ، فتضيع على كل ما أنفقت من جهود ، وأملت من ثمار ..

فعاد العبد يقدم قدمه اليمنى على اليسرى ، بينما وجدت الفتاة نفسها تخاطب السيد قائلة في لغة اليونان :

ـ ان أرض الاغريق أيها الغريب لكريمة حفية بمن يطؤها وفي صدره نوايا طيبة ، سواء مس أرضها بيمنى قدميه أم يسرهما .. فهى أرض الحب ، والشعر . والصراع .. ومهما تكن أيها الغريب ، فانني أقدم لك هذا الاكليل . فتقبله ريثما تفوز بذاك الذى جئت تنشده ..

فتناوله الشاب في عجلة ، ووضعه فوق مفرقيه وهتف ان الآلهة لتبسم لنا راضية يا سبورس . فهاهي ذى زهور البرتقال التى أتاحت النصر لهيبوميناس على اتلالنا وهذه زهور الزيتون . شجرة أبولو الحبيبة .. ما اسمك يارسولة الحظ الحسن ؟

فأجابت الفتاة في استحياء : آكتيه ..

فصاح الرجل مرة أخرى : هل سمعت يا سبورس ؟ .

آكتيه . اى الشاطىء .. لكأنما كانت كورنثه فى استقبالى لتتوجنى بأكليل النصر والرفعة ..

فقال الفتى : واى عجب فى ذلك !.. أو لم تعدك الالهة للنصر والرفعة يالوشيس ؟

وعلمت الفتاة أن ليس للغريب فى المدينة من أهل ولا أصدقاء أو معارف . فدعته كى ينزل ضيفا على دار أبيها فهتف السيد الشاب :

ـ ما كذبتني عيناى حين أدركت ان خلف هذا الجمال آلهة لا تقل مكانة عن هيلين .. لكان فينوس قد أضفت عليك سحر جمالها الخالد . فكتب لى أنا الآخر الخلود اذ رأيتك

وتضرجت وجنتا الفتاة خجلا ، بينما التفت الشاب الى خادمه يسأله فى لهجة لاتينية :

ـ ما رأيك يا سبورس ؟

ـ ان الهة الحظ تحبوك بما يستل من قلبك كل شك فى ولائها لك ..

ـ اذن فلنثق بها هذه المرة .. فها تقدمت الينا من قبل ممثلة فى هذا الجمال الباهر الفتان .. ألا فودينا أيتها الحسناء . فنحن على استعداد لان نتبعك . ومر ليبيكس يا سبورس أن يراعي فوبيه ويرقبها بعين يقظة ..

فهرع العبد عائدا الى السفينة يبلغ أمر سيده . ثم لحق بهما وهما ينحدران فى الطريق الى المدينة .. وكانت آكتيه تسائل لوشيس وهى تشير الى الاماكن التى ستقام فيها المباريات ..

ـ وفى أى تيجان البطولة يطمع لوشيس ؟

ـ فى ثلاثتها ياآكتيه ..

ـ انك مسرف فى الطموح يا سيدى

ـ ولكن الآلهة تستبشر بالرقم (ثلاثة) وترضى عن كل ماهو ثلاثي ..

واذ أشرفوا على المدينة ، لمح لوشيس نافورة ماء قديمة تجلى فيها جمال الفن الاغريقى . فسأل دليلته ومضيفته عنها فقالت آكتيه :

ـ انها نافورة بيرنيه ، فقد قتلت ديانا ، ابنة بيرنيه في هذه البقعة ، ولما رأت حزن أمها عليها وانكبابها فوق جثتها ، سخطتها حجرا فى شكل نافورة تسكب الماء فوق الجثمان الذى نحت ليسيبس ـ تلميذ فيدياس ـ تمثاله .

فهتف السيد الشاب : تأمل روعة الفن يا سبورس .. أنظر كيف بذل المثال كل مواهبه ليصور مشاعر الالم واختلاجاته .. سآمر بهذا التمثال أن ينقل الى روما أو نابولى ، فانى أحب أن يقام فى احدى قاعات قصورى أو أفنيتها .

فقالت آكتيه : انه تحفة قديمة تعتز بها المدينة اعتزاز الام التى فقدت أجمل صغارها ، فغدت تحرص على من بقى منهم ، فهل تراك من الغنى يالوشيس بحيث تملك ما يكفى لابتياع هذه التحفة الغالية ؟ .

فنظر اليها الشاب وكأنما مسته كلماتها ، وصاح : ابتياع !؟ . ولم ابتاع شيئا أستطيع أن انتزعه انتزاعا ؟ لو اننى اشتهيت هذا التمثال لنلته ولو اجتمعت كورنثه عن بكرة أبيها على الحيلولة دون ذلك .. اللهم الا اذا رغبت آكتيه الفاتنة فى استبقاء التمثال لبلدها .

فتضرج وجه الفتاة خجلا وقالت : لست أدرى مدى نفوذك وقوتك يالوشيس ، ولكننى أشكرك على أية حال .. فدع لبلادنا آثارها أيها الرومانى ، ولا تفعل ما فعله آباؤك

من قبل ·· لقد جاءوا غزاة فاتحين ، وجئت أنت ضيفا صديقا

ـ على رسلك يا حسناء ، فقد بدأت أرى في كورنثة من التحف التي تشتهي ، ما يفوق هذا التمثال الرخامي ·· وماجاء « باريس » ليسلب « لاسـيديمون » تمثال منيرفا أوديانا ، بل جاء فاختطف « هيلين » الطروادية الحسناء ·

فغضت الفتاة بصرها في ارتبــاك وقد أدركت مارمى اليه ·· وتابع الثلاثة سيرهم ، فدخلوا المدينــة التى كانت تعج بالوفود التي اجتذبتها المبارايات لا من كافة انحاء بلاد اليونان فحسب ، بل ومن كل ارجاء العالم ·· الذى كان يخضع اذ ذاك للامبراطورية الرومانية ·

وبلغوا الدار أخيرا ، فاذا رجل عجوز يقف عند عتبتها، تقدمت منه الفتاة قائلة :

ـ لقد أرسل الينا جوبيتر ضيفا يا أبت ، قابلته عند شاطئنا ، فدعوته الى بيتنا ·

فبسط العجوز يده للوشيس ، وهو يدفع الباب يفتحه باليد الاخرى وقال :

ـ مرحبا بك أيها الشاب ذو اللحية الذهبية ! ·

الفصل الثاني

في اليوم التالى جلست « آكتيه » بين أبيها « أميكل » وضيفهما « لوشيس » حول مائدة حوت أشهى الاطعمة وأطيبها ·· وجريا على عادة الاغريق ، دعا أميكل بالنرد أن يحمل اليهم كي يحكموه فيمن يرأس المائدة ، فلما القاه أميكل ، كشف عن الوجه الذى رسم عليه « هرقل » ولما القته آكتيه ، كان من حظها الوجه الذى رسمت عليه « العربة » ·· أما الشاب الروماني ، فقد تردد برهة في قلق وانفعال ، ثم القاه ،

فاذا الوجه الاعلى هو وجه « فينوس » واذا هو الفائز فصاح في عبده باللغة اللاتينية •

ـ هل رأيت يا سمبورس ، كيف تنحاز الآلهة الى صفنا ؟ وهل هناك خير من هرقل والعربة وفينوس •• لتكون فالا لشخص وفد ليفوز ببطولة « المصارعة » و « سباق العربات » و « الغناء » ؟ • اليس هذا وعدا صريحا من جوبيتر ؟ ••

فتنهد اليوناني العجوز وقال للشاب بذات اللغة : واحسرتاه على زمن كان في وسع بلاد الاغريق فيه أن تنجب اندادا ينافسونك عن جدارة ! •• ولكن الظاهر أن اليونان فقدت مع حريتها كل فنونها وقوتها ، وجرؤت روما على أن ترسل لنا صبيانها لينتزعوا البطولة منا فليحمك جوبيتر أيها الشاب ، فمع انني أتمنى أن يفوز بالبطولة مواطن من بلدى ، الا انني لا أضن بالامنية ذاتها على ضيف في بيتي •• فاذهبى يا ابنتى واحضرى لنا من الزهور ما نصنع منه أكاليل نستعيض بها عن التيجان التى يسعى اليها ضيفنا ريثما يفوز بها •

وأسرعت أكتيه فاحضرت أكاليل توج أكبرها رأس لوشيس •• ونثرت الزهور فى أرجاء المكان ، ثم توسط الضيف المائدة وحوله الاب وابنته • وعند قدميه عبده •

وقدمت صحاف الطعام ، فاقبلوا عليها ، واميكل يتأمل فى عطف ضيفه ، بين اللحظة والاخرى ومالبث أن سأله :

ـ هل أتيت من روما مباشرة ؟

فأجاب الرومانى الشاب :

ـ لقد أستقللت مركبى من ميناء أوستيا •

ـ وهل ما زالت الالهة تحمي الامبراطور المقدس وأمه ؟

ـ أجل ٠

ـ وهل كان القيصر يعد العدة لحملة عسكرية جديدة ؟

ـ لم تعد هناك قبائل متمردة ، فقد وهب القيصر ـ سيد العالم ـ كل البلاد السلم والطمأنينة كي ينصرف عنها الى الفنون ٠٠ وحمل قيثارته ينشد اهازيج المديح للآلهة ٠

ـ أولا يخشى أن يسعى غيره لانتزاع الحكم منه وهو منهمك في الغناء ؟

فقطب لوشيس حاجبيه وقال : اذن ففي اليونان أيضا يخالون القيصر طفلا ؟

ـ لا ، ولكنهم يخشون أن يتلكأ في الوصول الى طور الرجولة ٠

ـ ظننته قد بلغ الرشد حين مات بريتانيكس ؟

ـ لقد لقي بريتانيكس حتفه منذ أمد طويل على يدى اجريبينا ٠

ـ بل ان القيصر هو الذى قتله ، ولك ان تصدق قولى ٠٠ أليس كذلك ياسبورس ؟

فصاحت اكتيه : أو قتل أخاه ؟

ـ بل قتل الابن الذى شاءت الام أن تقدمه عليه وتحيد دونه ٠٠ سلى أباك أيتها الحسناء فهو يبدو لعيني عليما ، ولا شك أنه يعرف أن ميسالينا ـ زوجة كلوديس ـ أرسلت جنديا ليقتل نيرون وهو في المهـــد صبيا ، فاذا بثعبانين يفاجئانه من فراش الصغير فيضطرانه الى الفـرار ٠٠ ليس نيرون بالاحمق ككلوديس ، ولا بالمعتـــوه ككاليجولا ، ولا بالجبان كتيبريوس ، أو المتظاهر الذى يمثل دورا مصطنعا مثل أوغسطس ٠٠

وتطلع أميكل وأكتيه الى ضيفهما مشدوهين ، فقد كان

انتقادا لاباطرة اذ ذاك أو سبهم ، نوعا من التجذيف ، اذ كانوا يعدون في مصاف الآلهة .. وسادت الجميع لحظات صامتة واجمة ، مالبث أن قطعها مقدم عبد يعلن نبأ وصول رسول من الحاكم يحمل رسالة الى الضيف .. فقد رأى الحاكم الموكب في مرساه ، فتحرى عن صاحبه وعلم انه فى ضيافة أميكل ، فبعث يدعوه لينصب الى دار الحكم فى الصباح التالى فيسجل اسمه ، ويعين المباراة التى يبغى الاشتراك فيها

وأنصت لوشيوس للرسالة يتلوها الرسول ، وهو مضطجع في مجلسه ، بينما كان أميكل وابنته واقفين احتراما لكلمات الحاكم ، ثم تناول من صدره صفائح رقيقة من العاج المكسو بالشمع ، وقلما من نفس المادة ، ذا سن مدببة ، فخط بضعة أسطر ، ذيلها بخاتمه ، ثم أسلمها للرسول ليحملها الى الحاكم .. وتردد الرسول مدهوشا ، ولكنه أشار اليه فى غضب فانحنى وانصرف .. واذ ذاك قال أميكل :

ـ اننى أكاد أشك أيها الشاب فى أنك رومانى ، فلو انك عشت فى المدينة الامبراطورية ، لكنت قد تعلمت كيف تظهر الاحترام لاوامر ممثل القيصر ، فان الحاكم هو صاحب السلطة المطلقة وله من الطاعة هنا مالنيرون فى روما .

ـ أونسيت أن الآلهة اختارتنى فى بدء هذه المأدبة لمنصب يعادل منصب الامبراطور اذ جعلتنى ملك المائدة ؟ . وهل من شيم الملوك أن يغادروا عروشهم أطاعة لاوامر الحكام .. لقد كتبت الى لينتولس ـ الحاكم ـ أخبره ان فى وسعه أن يحضر فيسألنى ، اذا شاء أن يعرف اسمى ، ومقصدى وانى لواثق من أنه سيحضر بنفسه ، وسترى .. أنصت !

وفعلا لم يلبث الباب ان ردد صدى طرقات . فنهض

أميكل وابنته بنفسيهما ليفتحا للطارق ·· وفوجئا بالحاكم يدخل وقد تفصد العرق من جبينه ناما عما كان لرسالة الضيف من أثر عليه ، فلما أقتيد الى حيث يجلس لوشيس سأل هذا مضيفيه ان يدعاه مع الحاكم وحيدين ، فاغلق الباب دونهما ووقف آتباع الحاكم يحرسونه ·· ولم يدر أحد ما دار في تلك المقابلة التى دامت ربع ساعة انصرف بعده الحاكم ، بينما خف لوشيس الى حيث كان أميكل وابنته يتمشيان في الحديقة ، فبادر الاول قائلا :

ـ ما أجمله من مساء يا أبت ، فهلا رافقت ضيفك حتى القلعة التي قيل لى أنها تشرف على منظر رائع · وهلا أتحت له أن يرى تمثال فينوس الذى أمر القيصر برده من رومـا الى معبد الآلهة ليرعى الرومانيين المشتركين فى المباريات ؟

فقال أميكل : كم يؤسفني يابنى أن أصبحت سنى تعوقنى عن أن أرشدك فى تسلق الجبل ، ولكن آكتيه تستطيع أن ترافقك ، فهى فى خفة الرشأ ··

ـ شكرا ياأبتاه ، وما كنت لاجرؤ أن أسألك هذا خشية أن تغار فينوس من جمال ابنتك فتصب على انتقامها

وتضرجت وجنتا آكتيه خجلا ، ثم أسرعت الى الدار فغابت لحظة ، لتعود وقد أرخت على وجهها نقابا ·· فرافقت لوشيس وانطلقا فاجتازا باب المدينة الشمالى ، واتخذا الطريق الصاعدة عبر سفح الجبل الى القلعة ، فبلغاها بعد ساعة ، ونفذا الى معبد فينوس ، فاذا تمثال الآلهة واقف فى أبهى زينته والى يمينه تمثال الحب ، والى يساره تمثال الشمس ·· فركع لوشيس أمام تمثال معبودته يصلى ، حتى اذا فرغ عاد يرافق آكتيه ، فدلفا الى الغابة المقدسة القائمة خلف المعبد والمضحية الى قمة القلعة ··

وكانت آكتيه قد خلعت نقابها منـذ خلفت المدينة ، فراح لوشيس يتملى من حسنها الرائع بين كل خطوة وأخرى ، حتى اذا انتهيا الى القمة ، استندت الفتاة الى جذع شجرة • بينما لف الرومانى ذراعه على أحد الاغصان يعتمد عليه ، وبدلا من أن يتأمل منظر كورنثه وهى تستلقى عنـد قدمى الجبل ، راح يلتهم آكتيه بعينين برح بهما الجوع الى الحب ، حتى طغى على الفتاة الخجل والحيـاء ، وراحت تنشد في الكلام — على غير هدى — ستارا يخفى ارتباكها ••

فمضت تقول : سرح بصرك نحـو الشرق تر خليج سارون •• وما هذه الارض التى صاغتها الآلهة فى شكل حدوة الفرس ، سوى جزيرة سلاميس حيث حارب اخيلس •• وحيث هزم اكزرسيس •• ثم ول ظهرك شطر كورنثه •• وارسل البصر نحو الشمال •• تر الى يمينك جبل سيتيرون •• والى يسارك ليوكترا حيث هزم أبامننداس الاسبرطيين وفى مواجهتك تماما •• تجـد جبل بارناسس ذا القمتين اللتين تنبع من بينهما عين كاستاليا التى توحى بالشعر لـكل من ينهل من فيض مائها •

فقال لوشيس : لاريب فى أن بلادكم بلاد الذكريات العظيمة •• وليس أبعث للاسى من أن كل أبنائها لا ينظرون الى هذه الذكريات نظرتهم الى أساطير مقدسة •• كما تفعلين •• ولكن رفهى عن نفسك ، فاذا عز على اليونان اليوم ان تكون ملكة القوة كعهدها فيما مضى ، فانها دائما ملكة الجمال •• وانه لأحب سلطان الى القلوب ••

فمدت آكتيه يدها الى القناع تحـاول أن تغطى به وجهها ، ولكنه أسرع فامسك باليد •• واجفلت الفتاة ولكنها لم تجد من نفسهـا جرأة على اجتذاب يدها من قبضته ••

وغامت على عينيها غشاوة واحست بركبتيهـا ترتجفان ..
فمالت تستند الى الشجرة ..

وكان الوقت اذ ذاك أبدع ساعات النهار واحلاها ..
التى تقف فيصلا بين الليل والنهار .. فلا هى من هذا ..
ولا هى من ذاك .

وكان الشفق يصبغ الافق .. ويعكس أرجوانيته على
مياه بحر يونيان .. ويرسل السنته تفصل بين السحائب
الذهبية .. وسكنت الطبيعة فلم يعد يعتكر الصمت الا بعض
صيحات يبعثها الرعاة وهم يسوقون أغنامهم فى السفوح .

وبدأت حشرات الليل اللامعة تطمئن الى احتضار النهار
فنشطت تسعى بين الحشائش .. وكأنما أرهق النهار الطبيعة
وأنهك قواها .. فتولاها الخور والكلل .. وأخذت تستسلم
وسنانة الى هجعة مريحة ناعمة .. بين أحضان الصمت الشامل
الذى هفا باعصاب الشابين ومشاعرهما .

وفجأة ، انبعثت صرخة غريبة من ناحية المرسى الذى
استقر فيه مركب لوشيس ، فارتعدت أكتيه ، بينما التفت
الشاب الرومانى فى عجلة صوب الشاطىء .. واعتدلت الفتاة
فى خوف غريزى وهمت أن تتخذ طريقهـا صوب المدينة ،
ولكن لوشيس أوقفها ، فانصاعت فى صمت .. وكأنمـا
أحست أنها ازاء قوة طغت على كل قواها .. فعادت تستند
الى جذع الشجرة ، أو بالاحرى ، الى ذراع لوشيس ؛ التى
تلقتها وأحاطت بخصرها ؛ وطوحت الفتاة رأسها الى الخلف ،
وراحت تحدق فى السماء ، وقد أطبقت اجفانها وشفتيهـا
نصف اطباق ، ومع أنها احست أن عيني الشاب الرومانى
تكادان تلتهمان حسنها الساحر ، الا انها لم تقو على تحاشيهما
بل انتابتها غيبوبة أو نشـــوة ناعمة ، لم تفق منها الا حين

انبعثت صرخة ثانية ، تمزق السكون ، فصاحت في جزع :

– هيا نفر يالوشيس ، فلا ريب أن هذه الصرخة لحيوان كاسر يسعى في الجبل .

فابتسم قائلا : أو تخشى آكتيه ضرا وهي بجواري ؟.. انني لاشعر أن في وسعي أن أقاوم أكثر الكواسر وحشية من أجلها .. ومع ذلك .. فما هذه الصرخة الا لنمر .

فألقت بنفسها بين ذراعي الروماني ، تلوذ به محتمية مما تخشى من ضر .

وانبعثت صيحة ثالثة .. دلت على اقتراب النمر .. فرد عليها لوشيس بصيحة تكاد تشبهها كل الشبه .. فاذا بنمر يثب من الغابة المقدسة.. ويستوى على مؤخرتيه متحفزا للوثوب .. فارسل لوشيس من بين شفتيه صفيرا حادا .. فقفز النمر نحوه .. وفي نفس اللحظة .. أحس الروماني بجسد الفتاة يهوى على ذراعه ، وقد فقدت وعيها لفرط النمر .

فلما أفاقت آكتيه ، وجدت نفسها على صدر لوشيس ، بينما كان النمر مستلقيا عند أقدامها وقد راح يمسح رأسه في ركبة الشاب في شغف .. وعاود الفزع آكتيه فتشبثت بصدر لوشيس ثم لاحظت أن الحزام الذي يحيط بخصرها رمزا الى أنها لا تزال عذراء ، قد فك وألقى على قدم منها .. فتولاها شعور من الحيـاء والخزى ومدت يدها تستعيده . ولكن لوشيس كان اسرع منها ففك منطقة ذهبية كانت تحيط بعنق النمر تتدلى منها سلسلة محطمة .. فأحاط بهـا خصر الفتاة النحيل ثم تناول حزام الفتاة فربطه الى شريط حريري كان يحيط عنق النمر تحت المنطقة الذهبية .. ووضع الطرف الآخر للحزام بين أصابع الفتاة المرتجفة .

وانطلق ثلاثتهم نحو المدينة •• فلما بلغوا مدخلها التقوا بعبد نوبى •• ما ان رأى لوشيس حتى خر ساجدا عند قدميه •• وراح في ذلة يعتذر بأن (فوبيه) انتهزت غفلة منه فحطمت قيودها وفرت من المركب تبحث عنه •• وكان لوشيس فى غمرة السعادة •• فلم يفكر فى عقاب •• بل صاح في العبد :

ـ قم ياليبكس فقد عفوت عنك هذه المرة••وان كادت هذه الغانية أن تموت فزعا حين رأت (فوبيه) مقبلة •• اسلمى ياحسنائى النمرة الى حارسها •• سأربط أثنين من نوعها الى عربة تحملك يوما ما بين قوم سيتطلعون اليك كالهة معبودة ! •

وعصت النمرة ـ المروضة المستأنسة ـ حارسها •• ولكن لوشيس راح يربت على رأسها وكتفيها فى حنان •• ويناجيها بكلمات عذبة •• فما لبثت أن انصاعت وتبعت ليبكس •• الى المركب •

واذ بلغ الشابان دار اميكل •• أوى لوشيس الى مخدعه بعد أن ضغط يد آكتيه معبرا عن عواطفه •• بينما يممت الفتاة شطر حجرة أبيها تحييه قبل أن تلجأ الى فراشها••فما رأى العجوز شحوبها وما ارتسم على وجهها •• حتى سألها عما بها •• فقصت عليه قصة النمرة وما كان من أمر لوشيس معها •• فتمتم العجوز فى عجب وقلق :

ـ أى رجل هذا الذى يتسلى بالنمور••ويصدر أوامره للحكام •• ويجدف فى حق القياصرة المؤلهين !

ولم تكد آكتيه تجسر أن تمس شعره الاشيب بشفتيها كعادتها كل مساء •• وانسحبت الى مخدعها •• وهى لاتكاد تصدق أن كل ما مر بها كان حقيقة لا حلما •• وقبل أن

أن تخلع ثيابها . مست المنطقة الذهبيه بأصابعها .. ثم قربت منها المصباح .. فقرأت ما تمشى مع ما كان يجول فى خاطرها « أنا ملك للوشيس ! »

الفصل الثالث

قضت كورنثه الليلة السابقة لبدء المباريات .. فى احتفالات صاخبة..وفى صلوات فى معابد الآلهة .. وكأنما هى فى عيد من الاعياد القومية الكبرى .. فلما كان الصباح ازدحمت ساحةالمصارعة بجموع زاخرة .. أعاد مرآها ذكرى الايام الرضية الرخية التى شهدتها كورنثة فى أوج وعز الاغريق .

وكان أميكل أحد القضاة الثمانية الذين انتخبوا للحكم فى المباريات .. ولذا كان مجلسه مقابلا لمقصورة الحاكم الرومانى .. وبدا الملعب كخلية النحل الهائجة .. ومع ذلك فقد كان خلوا منأية امرأة ـ مما حال بين آكتيه والحضور ـ اذ كان الصراع يدور فى حرية تتيح للمصارعين أن يتعروا من كل لباس الامر الذى لا يليق فى حضرة النساء .

وكان المتقدمون للكفاح فى سبيل البطولة ثمانية من أقوى الشباب جسوما .. وامتنهم بنيانا بينهم اثنان من كورنثه ، وواحد من طيبة ، وآخر من سيراكيوز ، وخامس من سيباريس ، ورومانيان ، ثم لوشيس .. وتبعا للتقاليد تقدم كل منهم بدوره يقصالمغامرات التى ترشحه لان يصارع من أجل البطولة ، ثم أجرى بينهم الاقتراع ، لانتخاب من يبدأ المباراة منهم .. ولتعيين دور كل واحد .. فكان من حظ لوشيس أن يكون آخرهم . أى أن يصارع الصفوة التى تتبقى من بينهم بعد النزال .

ودار الصراع عنيفا .. استعرض الحضور خلاله أروع فنون الرياضة وابدع حركات النزال .. فانتهى أخيرا بفوز الطيبى واحد الرومانيين . وحان دور لوشيس كى يصارع الفائزين.. تطلعت اليه الانظار ، وفيها شيء من الازدراء وتوقع الفشل له . اذ بدا جسده تحت العباءة التى كان يتدثر بها رخصا طريا لينا ، فيه أنوثة ونعومة .. وسرت تمتمه بين الحضور .. لم يخف أمرها على لوشيس ، وان لم تنل من هدوءه واعتداده . فتقدم الى الساحه فى خيلاء ، وطرح عنه عباءته فكشف عن عضلاته القوية المفتوله رغم نحول جسمه ، وبضاضه بشرته . ولحق به سبورس فصب على كتفيه قنينة من الزيت المعطر راح يدلك بها جسده ، ثم نثر عليه كيسا مليئا برمل يخالطه تبر .

وكان الطيبى خصمه الاول ، فاقترب من الشـــاب الرومانى البادى الليــونة . وتأمله فى استخفاف ، ثم رد بصره الى جسده العمـلاق الضخم يتامله فى اعتداد ، وهو يقارن بين قوته وقوة غريمه ، ولكن يديه لم تكادا تمســان كتفى الرومانى ، حتى ندت من عينى هـــذا نظرة رهيبة ، وانبعث من حلقه زئير مروع .. ثم هبـط الى الارض مرتكزا على ركبتيه واطبق بيديه على خاصرتى الطيبى .. ومدهما حتى التقيا خلف ظهره فعقدهما وضغط بصدره بطن الرجل وما لبث أن رفع الجسد الضخم بين ذراعيه فى سرعة ومهارة لم تدعا للطيبى فرصة للمقاومة .. فراح يضرب الهواء بيديه فى غير ما جدوى .. بل كان كلما زاد من جهوده .. أحس بذراعى لوشيس تزدادان ضغطا حوله حتى تصبب العرق من كل جزء من جسمه وتراخت ذراعاه ورأسه .. وانبثق الدم من فمه وأنفه وان هى الا فترة بسيطة حتى القاه لوشيس

عند قدميه .. فاقد الرشد .

ولم يصفق أحد ، لا ولم تنبعث أى صيحة أو هتاف ! بل ظل النظارة صامتين جامدين لفرط ما ألم بهم من ذهول لروعة ماراوا .. وأسرع العبيد يحملون الطيبى الصريع .. وتأهب لوشيس لنزال الغريم الثاني ، ولكنه فوجيء بهذا يتقدم منه ، فيركع أمامه رافعا ذراعه اعترافا بقوة لوشيس ، وتنحيا منه عن منازلته ..

وفى عظمة وعزة . تقدم لوشيس من مقصورة الحاكم فتسلم تاج البطولة . واذ ذاك أسرع ملاحو مركبه فحملوه على أعناقهم . بينما ند اليونانيون عنهم ماداخلهم من امتياء لفوز الرومانى دون الاغريقى بالبطولة . فحيوه فى اعجاب وتحمس . حتى آذا بلغ أبواب المدينة ودخلها وسط موكبه ، تلقته النسوة والفتيات باكاليل الغار ، وباقات الزهور والورود .. ولكن كل هذه الحفاوة والتمجيد ، لم يبقيا فى نفسه أثرا حتى بلغ دار أميكل . فلم يجد فاتنته تستقبله بالاكليل الذى كان يطمع فيه . فاندفع داخلا . فاذا بها فى الحديقة الخلفية .. راكعة أمام تمثال ديانا . وقد جمدت أطرافها وشحب وجهها .. فتسلل خلفها . ثم وضع على رأسها التاج الذى فاز به . فالتفتت مسرعة لترى عينيه عالقتين بها . وقد فاضتا بنظرات الزهو . تعلنان اليها فوزه بأول البطولات التى جاء يسعى لكسبها ..

وخرج أهل كورنثة ــ عن بكرة أبيهم ــ يسعون فى اليوم التالى الى حلبة سباق العربات وعلى رأسهم الحاكم الرومانى يقود عربة مطهمة . تحف بها فصيلة من الفرسان والاتباع . على جياد مسرجة بالذهب .

وخلف هذا الركب ، أقبل موكب المتبارين يتقدمهم

لوشيس – تكريما له لفوزه في اليـوم السابق – وقد اتشح بعباءة خضراء • وارتقى عربة من الصـاج والذهب • تجرها أربعة جياد بيضاء قبضت يد الروماني الشاب على أعنتهـا القرمزية .. أما رأسه فقد علاها التاج الذى فاز به في مباراة الصراع • وأما لحيته الحمراء فقد نثر خلال شـعيراتها تبرا راحت ذراته تومض متألقة كلما انعكست عليها اضواء الصباح ••

وكان منافسوه أربعة •• شابين من أبناء « أثينا » • والثالث من أهل سوريا • والرابع اغريقي من (تساليا) ••

ومن خلفه هؤلاء سارت مواكب متعددة • متباينة • تنتهي عند باب المدينة ••

ووصلت المواكب الى حلبة السباق حوالى الظهـر •• واقترع بين المتسابقين • حتى لا يشكو أحدهم من غبن لحق به • فقد كان الميدان مستديرا • تتوسطه دائرة لا بد لهم من أن يلفوا حولها وكان طبيعيا أن تكون المسـافة التى يقطعها أقربهم الى محيط الدائرة ، هى أصغر المسافات •• وكلما ابتعد المتبارى عن المحيط • كلما طالت الشقة ••• وكان من حظ لوشيس أن يكون الاخير في الاقتراع • أى أن يكون أبعد الجميع عن محيط دائرة الوسط •• ولكنه تقبل حكم الحظ هادئا راضيا ! ••

ووقفت كل عربة في البقعة التى عينت لها • وتأهب الجميع •• وسرى اللغط بين آلاف النظارة الـذين راحوا يتنبأون بالنتيجة • ويتراهنون في سخاء • وفجأة • انبعثت دقات طبل خفت لها كل الاصوات ••وساد الهدوء والسكينة الساحة • ثم دق الطبل من جديد • فتحركت العربات الاربع منطلقة بكل ما في الجيـاد من سرعة • وتتابعت المناظر

والمقاجاءات • واجفلت بعض الجياد وأفلت العنان من أيدى بعض المتبارين •• وتتالت الدورات • بينمـــا ظل لوشيس دون زملائه هادئا لا يلكز جيـــاده ولا يستحثها رغم طول المسافة التي كان عليه أن يقطعها ••

فلما كانت الدورة الرابعة حدث ما اجتذب أنظـــار الجمهور الى لوشيس دون من عداه • اذ هوى من يده سوطه ذو المقبض الذهبي•فلم يشأ لوشيس أن يدعه حتى لا يفوته قصب السبق • بل استوقف الجياد•وقفز من عربته فانحنى والتقط السوط •• وعنـــدما عاد كانت الشقة بينه وبين زملائه قد تباعدت • ووجفت قلوب أنصاره وقـــد وقر فى نفوسهم ان قد ضاعت عليهم المبالغ التى وعدوا بها رهانا على فوزه •• ولكنه مال على جياده • وبدلا من أن يلهبها بسوطه ارسل من بين شفتيه صفيرا غريبا • فاذا بها تندفع كالريح وما انتهت الجولة الرابعة حتى كان لوشيس قد لحق بزملائه وفى الجولة الخامسة•فقد الاثينى سيطرته على جياده فاندفعت كالاعصار الجامح لا يقوى على كبحها ••

وجمحت خيل السورى وهو عاجز عن ردها •• فكادت تسبق جياد الاثينى • ثم لم تلبث ان تعبت جميعا • فبدأت تفتر • وتركت الفرصة لجياد الاغريقى القادم من تساليا • والخيل الاثينى الآخر • فسبقتها ••

على أن المتبارين لم يكادوا يبلغون الدورة الســـادسة ، حتى كان موقفهم قد تغير كل التغيير ، فارتد الجميـــع وبقى لوشيس والسورى وحدهما فى المقدمة ، وقد مضت جيادهما تنهب الارض نهبا ، وسنابكها تثير العثير حولهـــا فيلف العربتين فى اردائه •• وبدا للجميع ان السورى هو السابق . وأوشكت الدورة أن تنقضى وهو ما يزال متقدما عن لوشيس

وفجأة ، رفع الشاب الروماني سوطه ، وهوى به على ظهور جياده حتى كاد الدم ينبثق منها ، فاذا بهـــا تندفع مخلفة جياد السوري خلفها تعجز عن اللحاق بها ..

وكان لوشيس هو السباق الى النهـــاية ، فانبعث تصفيق الجمهور وهتافاتهم تصم الآذان ..

وكشخص اعتاد أن يفوز دائمـــا ، قفز لوشيس من عربته ، وتقدم فى خطى خفيفة ، شامخ الانفة مزهوا ، حتى بلغ مقصورة الحاكم الذى نهض عن مجلسه يقـدم اليه تاج البطولة ، وما ان تحول الشاب المظفر عن المقصورة حتى أشار فاذا سبورس يبرز من بين الحشـــد فيقف بين يديه ممسكا بحمامة أحاط لوشيس عنقها بخيـــط أرجوانى ، ثم قطع فرعين من التاج الذهبى فربطهما اليه ، وأطلق الحمامة فحلقت فى الجو ميممة شطر الحى الذى يقوم فيه بيت أميكل ، حاملة البشرى ..

كان لهذين الانتصـــارين المتتابعين اللذين احرزهمـــا لوشيس وقع عظيم وضجة كبرى فى كورنثه كما كان لهما تأثير معنوى ونفسانى على نفوس الطامعين فى آخر تاج من تيجان البطولة ، فما أن حان موعد المباراة الثالثة ، وكانت فى الغناء ، حتى انسحب الطامعون تاركين الميدان للوشيس ومع ذلك فقد صمم الحاكم على عقد المباراة فى موعدها ، ولو لم يتقدم لها غير الشاب الرومانى الموفق المحظوظ ..

واختار لوشيس قطعة شعرية عن ميديا ، قيـــل انها من نظم الامبراطور نيرون نفسه . وقد قص فيها كيف حمل جاسون ميديا الى كورنثه ثم هجرها وحيدة مع طفليها فلم تجد المســـكينة من تصرف غير أن تترك الطفلين فى المذبح لتصعد روحاهما الى حمى الآلهة ، ثم أرسلت الى غريمتها التى

سلبتها حبيبها حلة نفثت فيها السم .. ولكن أهل كورنثه لم يدركوا الحقيقة . فانتزعوا الطفلين من المذبح ومضوا يرجمونهما حتى قضيا . فانتقمت لهما الآلهة بأن أرسلت على المدينة وباء حصد الاطفال حصدا . ورغم مرور خمسة عشر قرنا على هذا الحادث . فقد ظل القوم يحتفلون بالذكرى ويلبسون الاطفال فيها ثيابا سوداء . بعد أن يحلقوا لهم رءوسهم .

ولا تعنينا هذه القصة في شيء . سوى انها مقدمة تمهد لوصف المباراة .. فقد انتقى لوشيس القصيدة التى تتناول القصة .

ورفع الستار على المسرح بينما كانت شمس مايو تغمر المكان وترسل من أشعتها السنة تلهب الجو وتشيع فيه حرا خانقا . رغم السرادق الذى أقيم ليحمى الناس من شواظها .

وكانت آكتيه تجلس الى جوار أبيها فى الصف الاول . وقد زانت شعرها القطعتان الذهبيتان اللتان أرسلهما لوشيس اليها فى عنق الحمامة فى الليلة السابقة .

وظهر لوشيس على المسرح . حاملا قيثارته . والى يمينه الممثل (باريس) الذى كان مكلفا بأداء الحركات التى تمثل ما يغنيه لوشيس . وبدأ الشاب المنظر بقطعة موسيقية نمت عن موهبة رائعة . ومهارة فائقة حتى اذا هفت الانغام بعواطف الجمهور . واستأثرت بأحاسيسهم . شرع لوشيس يغنى . فاذا اللحن والصوت والمعانى ـ التى تضمنتها القصيدة ـ تتسق فى انسجام تام .. وراح يصف كيف اقترب (آرجو) ـ سفين جاسون ـ من الشاطىء . حيث لقى جاسون ميديا ابنة الملك تجمع الزهور ..

وأجفلت آكتيه اذ تنبهت الى ما فى ذلك اللقاء من شبه

بلقائها بلوشيس .. وزاد وجيب قلبهـــا اذ سمعت نفس الكلمات التي تبادلتها مع الروماني . يتبادلها بطلا القصة . وراحت تنصت وقد أمسكت أنفاسها .. ولم تعد تستطيع ان تفرق بين جاسون ولوشيس . فقد لاح لها بطل القرون الغابرة . وحبيبها الروماني المظفر . يندمجـان في شخص واحد .. وكأنما استعار الشـــاعر اسمي جاسون وميديا . ستارا يخفي تحته اسمي لوشيس وآكتيه .. فكمـا خافت هذه النمرة . خافت ميديا من حية رقطاء استطاع جاسون أن يقطعها بسيفه اربا .. وكمـا أخذ لوشيس ينتزع تيجان البطولة واحدا بعد الآخر . راح جاسون يتغلب على ماساقته له الاقدار من أعـــداء ، زواحف ووحوش .. ثم هرع الى حبيبته التي كانت تتلهف على عودته مظفرا . فراح يزجي اليها كلمات الحب ويردد في أذنيهـا أهازيج الهوى . حتى هجرت أباها العجوز . وفرت معه من آســيا الى أوروبا . معرضة عن ماضيها مؤملة في مستقبلها ..

وكان لوشيس وهو يغني هذا الجـــزء مبدعا استثار مشاعر النســاء الحاضرات . وأرسل في أعماق آكتيه فيضا من الحب أغرق قلبها . فراحت تنصت بكل حواسها . وقد علقت عيناها به . ومضى صدرها الناهد يتهدج وهي تخال أنها تستمع لقصتها مع المغني .. واذ بلغ في وصـــفه وداع ميديا لابيها العجوز ، حين قبلته وهو نائم فتساقطت دموعها على وجهه .. التصقت آكتيه بأبيها وقد شحب وجههـــا . وأسندت رأسها الى كتفه .

وانتقل المغني الى الخاتمة التي تحول فيها المحب المستهام الى غادر خائن ، والتي تبدل فيها الغـــرام في قلب ميديا الى غيرة هوجاء ..

وراح صوته المشجي يصور الحب ، والجنون والاسى والفتور ، والحقد والانتقام ٠٠ فما فرغ حتى اهتزت اركان المكان لعنف التصفيق والهتاف ، وانطلقت الورود والازاهير من أيدى النساء تطير فى الفضاء لتتساقط عند قدمي لوشيس: ولكنه لم يحفل باحدى هاته المعجبات بل مضت عيناه تبحثان عن واحدة بينهن ، يفوق اعجابه بها كل اعجاب به ٠

ووقعتا أخيرا على الكورنثية الحسناء ! وهي شبه فاقدة الوعي بين ذراعي أبيها ، فبسط ذراعيه نحوها على مابينهما من مسافة ـ فانتزعت زهرة من شعرها ؛ والقتها بكل ما فى وسعها من قوة ، فهوت فى الارض قبل أن تصل اليه ثم ارتمت فى أحضان أبيها ، ودفنت وجهها فى صدره وطفقت تبكي وهي ترى المدينة ـ لا الحاكم وحده ـ تتوج حبيبها باكاليل الفوز ٠

وعند فجر اليوم التالى ، انسابت السفينة الموشاة بالذهب ، مبتعدة عن شاطىء كورنثة ، تحمل (ميديا) أخرى هجرت أباها لتبقى الى جوار حبيبها ٠

وبينما كان البر يتوارى شيئا فشيئا ، حتى لم يعد يبدو منه سوى جبال سيتيرون التي اخذت تتضاءل الى أن غدت نقطة بيضاء تراقصت برهة على قمم الامواج ثم اختفت ، كانت قوى آكتيه تتسرب حتى خانتها ساقاها ، فهوت فاقدة الرشد عند قدمي لوشيس ٠

الفصل الرابع

عندما فتحت الحسناء الهاربة عينيها مرة ثانية ، وجدت نفسها ترقد على فراش في المقصورة الكبرى بالمركب ، وقد جلس لوشيس على حافة السرير ، مسندا رأسها الى ذراعه

بينما كانت النمرة الاليفة قابعة فى أحد الاركان ، مستسلمة للنعاس ..

ولاحت لها سماء بحر يونيان خلال الثغرة التى فتحت فى السقف للتهوية ، وقد نشر الليل تحتها ستاره الحالك ؛ ترصعها النجوم اللامعة ..

وانسابت السفينة فى رفق على صفحة الماء الهادئة .. وخف السكون بالكون ، وكأنما كانت الطبيعة كلها وسنانه ناعسة ، حتى لقد خيل لآكتية انها تحلم فى خدر العذراء الذى كان يضمها فى بيت أبيها ..

وكأنما كان لوشيس يقظا لاتفه حركة تند عنها ، فما ان لمح أجفانها تنفـــرج عن حدقتيها الجميلتين ، حتى طقطق باصابعه فأقبلت جارية حسناء حاملة شـمعدانا أوقدت منه مصباحا ذهبيا يقوم على قاعدة برونزية عند قدمي الفراش .

وراحت آكتيه ترمق الجارية منذ مقدمها ، وقد لاح لها انها لا ترى وجهها المليح للمرة الأولى ، فحاولت أن تبحث عن صورتها بين صفحات ذاكرتها ، ولـــكن الصفحات تكاثرت ، والذكريات تقاطرت ، حتى عجزت عن متابعتهـــا فأغمضت عينيها ثانية ، واسلمت رأسها الى الوسادة وظن لوشيس انها تود النوم ، فغادر القمرة تاركا للجارية أمر رعايتها والسهر عليها ..

ووقفت الجارية ـ بعد خروجه ـ ترقبها برهة وقد كسا ملامحها حزن غريب لا تدرى له علة ثم استلقت على البساط القرمزى الانيق ، الى جوار « فوبيه » ـ النمرة ـ بينما انبعثت من قلب السفين أنغام كتلك التى سمعتهـا آكتية حين كانت ترقبها وهى تقترب نحو شاطىء كورنثة من قبل .. وان كان صمت الليل قد أضفى عليها مزيدا من السحر والفتنة .

ثم تصاعد صوت لوشيس وسط اللحن .. يغني لنبتون اله البحر . في عذوبة هفت بقلب الفتاة فعادت تفتح عينيها .. وترقب سماء الليل الصحوة المرصعة بالنجوم وقد أخذ الاسى ينحسر عن قلبها مخلفا اياه في غمرة الحب وحده .. حتى اذا فرغت الاغنية . غضت بصرها فاذا بعينيها تلتقيان بعيني الجارية وقد فاضتا هما الاخريان بالاحاسيس الزاخرة التي أثارها اللحن والصوت . وزادت آكتيه وثوقا بأنها رأت ذات الوجه من قبل .. فأشارت للفتاة فنهضت اليها .

وظلتا برهة صامتتين ثم سألتها عن اسمها . وأجابت الجارية .

ـ سابينا .

وبدا لها الصوت ـ كما بدا الوجه قبله ـ مألوفا .. فعادت تسألها :

ـ والى أى بلد تنتمين ؟

ـ تركت وطني صغيرة .. فلست أذكر لي وطنا ..

ـ ومن مولاك ؟

ـ كنت حتى الامس ملكا للوشيس .. ولكنني اليوم جارية آكتيه .

ـ أوقضيت في حوزته أمدا طويلا !

ـ مذ بدأت ذاكرتي تتفتح على الاحداث .

ـ فما أراك ولا شك الا مخلصة له ؟

ـ اخلاص الابنة لابيها .

ودعتها الى الجلوس بجوارها .. فترددت ثم تقلمت في خضوع وكأنما هي تؤدي واجبا أجبرت على أدائه .. فقربتها آكتيه منها وسألتها .

ـ أما رأيتك من قبل ؟
فقالت متلعثمة : لا أظن ٠٠ فأنا لم أبرح السفينة طيلة رسوها عند الشاطيء ٠
وساد الصمت ثانيـة ٠ ثم قالت آكتيه وهى تتلمس مشاعر الفتاة خلال اجاباتها :
ـ اننى أدرك ما يعتريك ياسابيتنـا ٠ اذ استبدلت بى سيدك ٠ ولذا فسأخبر لوشيس انك غير راغبة فى فراقه ٠٠
فقالت الجارية فى هلع : اياك ان تفعـل ٠ فلا بد من الصدوع لاوامر لوشيس اذا امر ٠
ـ هل يقسو اذا غضب ؟
فأجابتها فى لهجة ارسلت فى أعماق آكتيه خوفا لا تدرك كنهة : بل هو فظيع فى قسوته ٠٠
ـ ومع ذلك يبدو لى ان كل من يحيطون به يحبونه ٠٠ فمثلا ذاك الشاب سبورس ٠٠
وكأنما كشف لها اسـم العبد عن الفكرة التى كانت تحاول ان تتذكرها فهتفت :
ـ أو تعرفين سبورس ؟
ـ انه أخى ٠٠
ـ واين هو الآن ؟
ـ بقى فى كورنثه ٠
وظهر لوشيس اذ ذاك عند الباب ٠٠ فشعرت آكتيه أن يدى الجارية ـ وكانت قد احتوتهما بين راحتيهـا ـ ترتجفان ٠٠ ووقف الرومانى يتأمل المنظر لحظة ثم قال :
ـ ألا تحبين أن تستمتعى بمنظر الفجر حين يطلع على الكون يا حبيبتى آكتيه ؟
وأحست آكتيه أن تحت النعومة والعذوبة اللتين تبدوا فى

صوته •• لهجة حادة شبه آمرة •• لم تسمعها قبل اللحظة •• وسرى في صدرها شعور أقرب الى الخوف والفزع جعلها تشتم في رجائه أمرا يجب أن تطيعه للتو •• ولكن قواها لم تواتها •• فكادت تهوى اذ نهضت لولا ان اندفع نحوها فتلقاها بين ذراعيه •• وحملها فاستكانت في صدره رغم الخوف الذى تولاها حتى لكأنه كان يحملها ليلقى بها في هاوية سحيقة •

وقال لها وهما يتكئان على سياج المركب ويسرحان بصريهما في الأفق :

ــ ان النسيم ليحمل الينا عبير زهور (سامية) واريج برتقال (زاسينتس) •• اتحب حسنائى آكتيه ان أشيد لها قصرا في كل من هاتين الجزيرتين الشقيقتين اللتين لا يقربهما الشتاء بأصابعه الجليدية ؟

ــ لشد ما تروعني يالوشيس حين تزجى الى فى بعض الاحايين وعودا لا يحققها غير الآلهة ! •• من أنت •• وما الذى تخفيه عني من أمرك ؟

ــ لست سوى مغن مسكين •• ترك له عمه كل ثروته على شريطة أن يكتنى بكنيته••انما تكمن كل قواى يا آكتيه فى الحب •• فبحبك أستطيع أن أواجه قوى العالم أجمع •

ــ اذن فأنت تحبني ؟

ــ أجل •• ياغالية !

واحست بسعادة غامرة تناست فى فيضها كل شيء •

وطالت الرحلة ستة أيام كانت السفينة خلالها بين زرقة السماء والبحر••حتى اذا كان اليوم السابع •• لاحت شواطيء مدينة (لوكرى) وتسللت السفينة الى مياه البحر التيرانى •• التى ينعكس على صفحتها وميض نيران بركان

سترونجيلي ، منار البحر الابيض المتوسط الذي لا يخبو ، ومضى المركب قدما ، حتى دخل الخليج الذي ترقد عند اقصاه نابولي مستلقية عند قدمي بركان فيزوف ، فما أن لاحت المدينة للانظار حتى أمر لوشيس ، فاستبدلت بأشرعه أرجوانية .. قلاع سفينته البيضاء .. وتوج صاريها بغصن من الغار اعلانا لفوزه .

ولم يك ثمة شك في انها اشارة متفق عليها .. اذ لم تكد السفينة تبلغ البر .. حتى كان في استقبالها أهل المدينة .. فتهادت الى الشاطىء بين الموسيقى والتصفيق والهتاف .

وكانت في انتظار لوشيس عربة ذات جياد أربع بيضاء .. امتطاها وقد توج رأسه بأكاليل من أغصان الزيتون ودخل المدينة دخول الفائز المظفر .

وهكذا كان يستقبل أينما حل .. في طريقه الى روما .. ومما ضاعف من حفاوة الجماهير به .. انه عندما بلغ فوندى .. وجد في انتظاره عجوزا من أعرق عائلات روما وأمجدها تاريخا .. قيل ان الآلهة تنبات منذ القدم بأن من أبنائها من سيرقى العرش يوما .. ثم حدث أن ذهب (جالبا) ـ وهو اسم الرجل ـ في وفد من قومه لتهنئة أوكتافيوس .. فما رأى الامبراطور حتى ربت على خده قائلا : « وأنت يابني ستمارس يوما سلطاننا » فشاع بين الناس أنه المختار من أسرته لانتزاع العرش وحاول تيبريوس ان يضطهده اذ خلف أوكتافيوس .. لولا أن عرافه تنبأ له بأن (جالبا) لن يرقى العرش الا في أرذل العمر ، فاطمأن الى أنه لن ينافسه ويزاحمه .. فلما آل العرش الى نيرون .. وجد الرجل عجوزا مهدما .. يقتنع بعزلته وهدوئه .. فاطمأن الى كذب

النبوءة .

وقضى لوشيس يومين في ضيافة جالبـــا ، كان فيهما موضع حفاوة بالغة ولكن آكتيه لاحظت أنه لا ينام الا وسيفه تحت وسادته ، وأن فصيلة من الجند وفدت من روما لاستقباله كبطل منتصر فاذا بأفرادها يحيطون به كحرس ، ويسهرون الليل عند باب مخدعه ، مما أثار دهشتها وعجبهـــا وان لم تجسر على أن تسأل لما تراه تفسيراً .

وأقبل موكب البطل على روما أخيرا ، فذهلت آكتيه مما رأت فلقد تجلت المدينة الخالدة كعروس في ليلة زفافها ، واذا الطريق اليها عبر جبال الالب، تغص بالخلق بين ركب ومشاة، خرجوا يستقبلون الظافر المنتصر ، ويسيرون في ركابه .. حتى اذا غدوا على حوالى الميل من أبواب روما ، استقبلتهم فصيلة من الفرسان . تقدمت الموكب وقد بدا البذخ حتى في المعدات التي جهزت بها الخيـــل .. وسمعت آكتيه اسم (لوشيس) يمتزج باسم (القيصر) ورأت الركب ينحسر تحت أقواس النصر ، وينحدر من الـــكابيتول ، الى معبد جوبيتر ، وهناك هبط لوشيس ، وارتقى الدرجات الى حيث كان الكهنة في انتظاره ، فحفوا به وهو يسيـــر الى تمثال المعبود ، فيركع عنــده .. حتى اذا نهض قدم الى رئيسهم التيجان التي فاز بها ولوحا من الذهب ، حفرت عليه كلمات قرأها على الشعب في صـــوت جهير .. « يرفع لوشيس دوميتس كلوديوس نيرون هذه التيجان الثلاثة التي فاز بها في المصارعة وسباق العربات والغناء ، الى جوبيتر خير الآلهة وأقواها » .

وبين صيحات المتحمسين وهتافاتهم وتصفيقهم ، انبعثت صيحة ذعر وجزع ندت من آكتيه التي تحققت أن الفقير الذي

بعثه لأنها أحبته ، لم يكن غير ·· نيرون القيصر ، نفسه !
على أن الامبراطور لم ينس آكتيه في غمرة الزهو الذى شيه لروعة الاستقبال ، فقبل أن تفيق من دهشتها ، رأت بدين يقتربان منها ، ويسألانها في احترام أن تتبعهما فسارت خلفهما دون أن تدرى الى أين يقودانهـــا ، أو تحاول أن سألهما ·

وقد استولى عليهـــا خوف لا تدرى ماتاه ، وأخذت لهواجس تعبث بها ، اذ رأت نفسها عشيقة للامبراطور الذى م يحاول قبل اللحظة أن يظهرها على شىء من حقيقته ·
وألفت في انتظارها تحت (الكابيتول) محفة يحملهـــا ستة من العبيد تزين صدورهم ألواح من الفضـــة البراقة ، وتحيط بأذرعتهم أساور من المعدن النفيس ، وقد جلست الى جوار المحفة ، سابينا ، التى كانت قد نسيت أمرها ·
واضطجعت آكتيه على الوســـائد الحريرية الناعمة ، فحملها العبيد الى قصر (البلاتين) وسابينا تسير الى جوارها وصعدوا نحو التل ، حتى بلغوا (نافورة جوتوونا) أخيرا ، توقفوا أمام بيت صغير ملحق بالقصر ، وأسرع العبدان اللذان قادا آكتيه في بادىء الامر ، فوضعا سلمين الى جانبي المحفة ·
وما ان هبطت الاغريقية الحسناء ، حتى فتح الباب · ثم أغلق خلفها اذ اجتازته ·· دون أن ترى أثرا لمن فتحه أو أغلقه ·
ووجدت نفسها وحيدة الا من سابينا التى قادتها الى قاعة تستريح فيها ·· فتهالكت على أول مقعد صادفها ·· وهى لا تزال شاردة الذهن ·· لاتكاد تلم شعث حواسها ·· بعد أن تفرقت بددا أثر الصدمة التى فوجئت بها حين اكتشفت أنها انما قطعت هذه الرحلة الطويلة في ركاب الامبراطور ·

ولعل السعيد القدير الذى جاء بها .. كان قد حدس ما سوف يعروها فأشفق أن يدعهـــا لافكارها فاذا بأنغام تتصاعد فى الجو من كل ركن فى الحجرة .. كأنما دبرها ساحر عليم .. وهفت النغمات الناعمة بأعصابها المكدودة .. فارتاحت اليها .. وأمسكت دموعها .. وتراقص على شفتيها شبح ابتسامة باهتة .

واذ ذاك .. اقتربت سابينا منها .. فراحت تنضو عنها ثيابها .. وهى لا تحير حراكا .. أو تعارض .

فلما فرغت الجارية .. قادتها عارية الى حجرة واسعة يتوسطها حوض كبير .. تلقفتهما عنده جوار حسان .. زانت شعورهن الزهور والأكاليل .. فأحطن بها .. ودفعن ناحية حافة الحوض القريبة منها .. زورقا صغير من العاج .. كأنه شطر احدى الاصداف .. فتقدمت آكتيه وكأنهـــا فى حلم غريب وجلست فى الزورق وما لبثت أن وجدت نفسها وسط الحوض .. كفينوس تحيط بها جواريها .

وعادت الموسيقى الناعمة تسرى فى الجو .. وانطلقت الغوانى يلعبن فى المـــاء .. ويمزحن .. وقد تصاعدت ضحكاتهن تملأ المكان مرحا .. فما هى الا لحظات .. حتى وجدت آكتيه نفسها تنساق بغريزتها الى مشاطرتهن .

ثم لمحت سابينـــا على حين غرة .. تقف فى معزل عن الجميع خارج الحوض .. وقد أرخت على وجههـــا قناعا .. فدعتها وهى تتضاحك .. ولكن الجارية أشاحت وأعرضت .. فظنت أنها تخشى وهى الجارية الرقيق .. أن تشاطر عشيقة الامبراطور مرحها .. فخرجت لها بنفسها من الماء .. وهرعت نحوها وقد نسيت أنها عارية كما ولدتها أمها .. وأن الماء يقطر من جسدها .. وراحت تجتذبها نحو الحوض فى رفق

بينما كانت الغانيات يضحكن مما أصاب الجارية من ارتباك واضطراب ٠

والواقع أن آكتيه ذهلت اذ رأت الدماء تنحسر عن وجه سابينا فتخلفه أصفر شاحبا ٠٠ وخيل اليها انها موشكة على الاغماء ، فمدت ذراعيها وضمتها الى صدرها ٠٠ بيد انها سرعان مادفعتها عنها ، وقد ندت منها صرخة حادة اذ عضتها الجارية فى كتفها البضة ٠٠ ثم اندفعت مسرعة خارج المكان ٠

وجرت الغواني اذ ظننها أصيبت بسوء ، حتى اذا تحققن مما جرى ، قدنها نحو الحمام الساخن وآكتيه فى ذهول عميق مما حدث ، لا تدرى لما أتته سابينا تعليلا ٠

وكان البخار يتصاعد حارا ساخنا فيعبق به جو الحجرة ولا يلبث أن ينعقد سحائب تملأ الفراغ ، حتى ضاقت أنفاس آكتيه ، فاذا باحدى الجوارى تجـــذب سلسلة ، وسرعان ما انزاحت عن السقف صحيفة من ذهب ٠٠ فاذا بثغرة انساب منها بعض البخار الى الخارج وحل محله بعض الهواء البارد ٠

وأحست آكتيه خوارا يدب فى كل جسدها ، وتهالكا ، وكلالا ، ثم استسلمت لايدى المدلكات والغاسلات ، وهى فى شبه نشوة وسنانة ٠٠ فلمـا انتهين من التدليك والغسل ، تراجعن لتتقـدم جاريتان نشرتا بينهمـــا عباءة أرجوانية من الصوف ، دثرتاها بها ، ثم حملتـاها وهى تكاد تكون فاقدة الحس ، الى أريكة فى حجرة أخرى ٠

وأقبلت جاريتان أخريان ، تدلكانها بالطيب والزيوت المعطرة ، وآكتيه صامتة ، مستسلمة فى خوار محبـب الى النفس ٠

بيد انها لم تلبث أن أحست بالبـاب يفتح ، فظنت ان جارية جديدة قادمة ، وظلت فى مرقدها ، لا تكاد تحرك طرفا

من أطرافها .

وسمعت وقع قدمين تقتربان حتى بلغتا الأريكة ، فبذلت كل ما بقى في جسدها من قوة حتى استطاعت ان تلتفت ، فاذا هي أمام امرأة في ثوب كساها من قمة رأسها حتى أخمص قدميها ، تخطو نحوها في جلال ومهابة ، وفي خطى متئدة ، كأنها شبح يبرز من عالم الخيال .

وانحنت القادمة فوقها تتأملها بعينين نفاذتين خالتهما آكتيه تتغلغلان الى أعماقها ، فتكشفان كل خبيئتها ..

وما لبثت المرأة ان قالت في صوت رهيب ، وقد بدت كل كلمة من كلماتها حادة جارحة كنصل السيف .

ـ أأنت الكورنثية الشابة التى هجرت أباها ووطنها لتتبع الامبراطور ؟ .

وتضمنت هذه الكلمات القلائل كل حياة آكتيه .. سعادتها وشقوتها .. ماضيها ومستقبلها ! وأحست الفتاة بسيل من الذكريات يطغى على ذاكرتها ، ورأت بعين الخيال مناظر طفولتها وصباها .. وتخيلت أباها المسكين وهو يناديها غداة فرارها من بيته فلا يجيبها .. وذكرت تلك الصدمة التي أذهلتها حين تبينت ان عشيقها ليس سوى الامبراطور .. وما تولاها من خوف ورهبة اذ كشفت هذا السر .. فغطت وجهها براحتيها وهتفت وهى تشهق باكية :

أجل .. أنا المتعوسة الشقية !

ومرت لحظات شعرت خلالها بعيني المرأة تتفحصانها .. ثم أحست يدها تمتد فتمس راحتها في رفق شجعها على أن تتجاسر وتتطلع اليها .. فاذا عيناها لا تزالان مصوبتين نحوها .

وقالت المرأة وصوتها محتفظ برهبته وان شابته رنة

اشفاق :

ـ ان القدر لغز غامض .. فهـــو قد يضع سعادة امبراطورية أو دمارها .. في يد طفل صغير !..ولعل الآلهة لم ترسلك لتكوني نذير نقمة .. وانما أوفدتك بشير أمل .

ـ لقد أجرمت .. وما جريمتي الا انني أحببت .. ان قلبي لا ينطوي على ذرة من شر .. واذا لم يكن مقدرا لي أن أسعد .. فكم أتمنى لو استطيع ان أسعد غيري ! . ولكنني وحيدة .. ضعيفة لا حول لي ولا قوة .. ارشديني الى الطريق تجديني أنطلق فيه لا الوي على شيء .

ـ ولكن هل عرفت ـ قبل كل شيء ـ ذاك الرجل الذي اسلمته مصيرك ؟

ـ لم أعرف قبل اليوم ان لوشيس ونيرون شخص واحد وان حبيبي هو الامبراطور نفسه .. انني ـ ككل اغريقية ـ بهرت بالقوة والجمال والغناء . فتبعت المظفر فيها دون أن أدري انه سيد العالم .. انه الشخص الذي نشأت على أن أعتبره الها .

ـ اذن فأنت لا تعرفين عنه شيئا .. فتعـالى أحدثك عنه .. اذ من حق العشيقة ان تعرف شيئا عن عشيقها ومن حق العبد أن يلم بطرف من قصة سيده .. لقد كان لوشيس منذ مولده أبعد الناس عن العرش .. فاقترب منه بالزواج .. ثم اعتلاه بجريمة .

فصاحت آكتيه :

ـ انه لم يرتكبها .

ـ ولكنه الوحيد الذي افاد من ورائهـا .. وما ان غربت شمس كلوديس .. حتى أفلت في أثرها شـمس بريتـا نيكس ، وكان نيرون في هذه المرة مرتكب الجريمة

اوترتابين فى قولى يافتـــاة ؟ •• اذن •• فاسمعى كيف تم ذلك ••

كان نيرون يوما يلعب مع بعض الاطفال فى حجرة تجاور القاعة التى كانت اجريبينا تعقد فيها اجتماعاتها •• وكان بريتانيكس بين الاطفال •• فامره نيرون أن يذهب الى قاعة المائدة فيغنى للضيوف ظنا منه انه بذلك يرهب الصبى ويثير ضحك البلاط عليه • وصدع بريتانيكس بالامر وهو شاحب الوجه بادى الاسى والذلة••فانطلق يغنى قطعة (اشتياناكيس) والدمع يجول فى مقلتيه :

ـ آه يا أبت ! •• آه ياوطنى ! •• آه ياقصر آبائى !• لقد رأيتك تتهدم تحت قبضة غريب ، وتغدو شـعلة متقدة من نار ! •

فاذا بالضحكات تتلاشى ، وبالدموع تسيل من المآقى وسكت الماجنون فى روعة الاسى وغمرته •••

ولكن هذا الحادث أوحى بمصير بريتانيكس وكانت فى سجون روما اذ ذاك ، عجوز داهية تدعى لوكستا ، اشتهرت بحذقها فى تحضير السموم ، فاستدعى نيرون أحـد أعوانه وأوفده اليها •• اذ لم يجسر ـ وهو الامبراطور ـ أن يلقاها بنفسه ، فعاد اليه الرجل فى اليـــوم التالى بالسم الذى ينشده •• ولامر من الامور ، لم يؤت الســـم مفعوله فى بريتانيكس ! •

فاستدعى نيرون العجوز السجينة الى قصره ، وانفرد بها فى مخدعه ، وحملها على ان تنكب الى جـــوار المدفأة على اعداد سم فاتك جرب مفعوله أولا فى عنز ، ثم فى وعل •• وذهب فاستحم وتطيب واكتسى بثوب أبيض ، وجلس وعلى ثغره ابتسامة الرضا ، الى مائدة مجاورة لتـلك التى يجلس عليها بريتانيكس •

ومع أن كل طعام وشراب كان يقدم الى عبد يتذوقه قبل أن يمسه بريتانيكس ، الا أن الشراب فى ذلك اليوم قدم اليه ساخنا جدا ، بعد أن تذوقه العبد ، فما ارتشف منه رشفة حتى صرخ متألما ، وطلب ماء باردا يضيفه اليه ليخفف من حرارته .. وفى ذلك الماء دس السم ..

ومات بريتانيكس دون أن يصرخ أو يشكو ، أو يتألم .

وهرع بعض الحضور ، وبقى البعض جامدين لا يحيرون حراكا ..

وكان نيرون يغنى اذ ذاك ، فقام وانحنى على بريتانيكس ثم قال :

– لاضرر هناك ولا سوء .. سيستعيد حواسه بعد لحظات ..

وعاد يتابع الغناء ..

ومن ذلك اليوم أصبح نيرون نبيلا ، وأصبح خليفة اسرة «اهينوبربس» – أى «ذوو اللحى الحمراء» – فاضطهد أوكتافيا التى يدين لها باعتلاء العرش ، ونفاها الى «كمبانيا» حيث وضعها تحت رقابة شديدة ، ثم انكب على حياة اللهو والعبث والترف والبذخ التى أذهل روما بها عامين كاملين .

هذا البطل المظفر الذى تحبينه يافتاة .. هذا الامبراطور الذى يرفعه الجميع الى مرتبة الآلهة لا يتورع عن أن يتسلل من قصره تحت جنح الظلام .. متنكرا فى زى عبد أو خادم فيهرع الى البؤر التى يرتادها حثالة الشعب وابناء احط الطبقات ، ويقضى الليل يردد على أسماعهم أغانيه .. ثم يخرج على رأس رفاقه الخليعين وقد عبثت الخمر برؤوسهم .. فيطوفون بطرقات المدينة .. يتبجحون على النساء .. ويؤذون الرجال .. ويقتحمون البيوت .. حتى يعود الى القصر

الذهبي ، وقد حمل ـ في بعض الاحيان ـ أثارا مخجلة ٠٠ من ضربات أولئك الذين يستثيرهم فيردون عليه أذاه ٠٠

فصرخت آكتيه : محال !٠٠انك ناقمة عليه ٠ تحاولين تشويه سمعته !

ـ لست أقص عليك سوى الحق الصريح ٠ انني أمه !٠

فقفزت آكتيه من مجلسها ٠٠ وركعت عند قدميهـــا هاتفة :

ـ أأنت اجريبينا ؟ ٠٠ ابنة وأرمل وأم الاباطرة ؛ ٠٠ أتقف اجريبينا أمام فتاة اغريقية بائسة !؟ ٠٠ أواه ٠٠ ما الذى أفعله من أجلك ٠ مرينى٠٠اطعك ٠ الا اذا أردتنى على أن أكف عن حبه ٠٠ فليس هذا فى طوقى رغم كل ما سمعت منك ٠٠

ـ بل ابقي على حب القيصر يا صغيرتى ٠٠ بكل الولاء الذي كنت تدينين به في الهوى للوشيس ٠٠ ففى حبك كل ما بقي من أمل ٠٠ ان الطهر والبراءة اللـــذين يتجليان في حبك ٠٠ هما السلاح الذى يقضى على الشر والخبث الذى فى حب غيرك ٠

ـ غيرى ! ٠٠ اذن فالقيصر يحبسواى ؟ ٠٠ ما كنت أعرف ذلك ٠٠ فما خطر لى أن أسأل عن القيصر حين فررت أتبع لوشيس !٠٠ لم يكن للامبراطور قيمة فى نظرى ٠٠ فقد وهبت لوشيس حياتى وأنا لا أدرى حقيقة شخصيته ٠٠ ومن تلك المرأة اذن ؟ ٠

ـ ابنة لطخت شرف أبيها ٠٠ زوجة خدعت زوجهـــا وخانته ٠٠ امرأة وهبتها الآلهة كل آيات الجمال ٠٠ وضنت عليها بالقلب ٠٠ فلا قلب لها ٠٠ انها سابينا بوبيا ٠

ـ أواه .. لقد سمعت قصتها من أبى .. وما دريت انها ستكون يوما قصتي أنا الأخرى .. وهل هو باق على حبها ؟ ..

فقالت وهي تسكب الحقد خلال كلماتها :

ـ أجل .. ولسبب خفى غامض .. للعنة كتلك التى صبتها فيسونة على كاليجولا .

ـ رحماك أيتها الآلهـــة ! .. أما كفانى عقابا .. أما كفاني شقاء ؟ ..

ـ ان ماتعانينه ليقل كثيرا عما أعانيه .. فقد كنت حرة فى أن تطرحى عنك هواه وان تهجريه أما أنا .. فلم يكن لى من خيار .. اذ فرضتـــه الآلهة على فرضا .. حين جعلتنى أمه هل عرفت دورك الآن ؟ .. أياك أن تفرى أو تهربى .. انهم يقولون انه يحبك .. فعليك أن تجعلى هذا الحب يثمر واحمليه بقوته على أن يطرح عنه السوء والخبث .. فتنقذى بذلك روما والامبراطور نفسه .. انك المرأة الطاهرة الوحيدة التى تستطيع اداء هذا الواجب .

واقبل اذ ذاك عبـــد يدعو آكتيه الى حضرة الامبراطور فما رأته حتى هتفت في دهشة وعجب : سبورس . !

وغطت اجريبينا وجهها بطرف وشاحها .. وقالت لها :

ـ هيا اذهبى اليه !

الفصل الخامس

سدلت آكتيه على وجههـــا نقابا .. واتشحت بمئزر طويل سابغ .. ثم تبعت سبورس فى ابهاء القصر وردهاته الطويلة الكثيرة التعرجات والانثناءات .. حتى بلغا بابا فتحه سبورس بمفتاح من ذهب أسلمه اليها كي تســـتعين به اذا

هادت وحدها ·· وقادها خلال هـــذا الباب ·· الى حدائق القصر الذهبى · الواسعة الشـــاسعة ·· التي جمعت اندر النباتات والزهور ·· والتى تتنقل بين أفنانها أندر الطيور وتسبح فى بركها المائية وجداولها أندر الاسماك ·· فهى قد حوت كل نادر طريف !؟

وسرت الخضرة اليانعة والنسيم العليل عن آكتيه بعض ما بها ·· فقطعت الصمت قائلة : اذن فقـــد كانت سابينا تكذبني القول حين زعمت انك بقيت فى كورنثه يا سبورس ؟·

ـ بل حدثتك صدقا ·· فقد تخلفت فعــلا عن ركب لوشيس ·· ولكنني لم البث أن أبحرت فى مركب اتجهت رأسا صوب كالابريا عن طريق بروندیزيم ·· فبلغت روما فى ذات اليوم الذى وصل فيه الامبراطور ·

ـ لا بد أن سابينا ابتهجت لرؤيتك ·· فانهـا تحبك أبلغ الحب ·

ـ لاعجب ·· فلسينا شقيقين فحسب ·· بل اننا أيضا توأمين ·· ولكن سابينا لم يعـــد لها فى روما بقاء ·· او بارحتها كرغبة القيصر المقدس ·

ـ والى أين ذهبت ؟

ـ لست أدرى ··

وأحست آكتيه بشيء من التردد والحرج فى لهجـــة العبد ·· فلم تشأ أن تمضى فى اسئلتها ·· وواصلا السير بين الاشجار الكثيفة ·· والصمت يفرض عليهمـــا نفسه رفيقا ·· حتى سمعت آكتيه صيحة آدمية مترجعة فاجفلت مذعورة ·· ولكن سبورس طمأنها ·· ذاكرا انهمـا يسيران على مقربة من السجن الذى زج فيه المسيحيون ليلقوا أحياء الى الاسود فى الحفلات العامة ·· فجدت آكتيه السير مبتعدة

وهي ترتجف فرقا واشمئزاز واشفاقا على أولئك المتعوسين من المصير القاسي الفظيع الذي ينتظرهم ..
ولاحت أخيرا أضواء القصر الكبير .. فما كان المبنى الذي نزلت به سوى قصر صغير ملحـق بالقصر الذهبي .. واستقبلتهما بالحان وانغام تنبعث منه .. فتمـــلأ الجو فتنة وسحرا .

وسارت في أثر سبورس الى ردهة القصر . ثم توقفت مذهولة .. تتأمل المـكان وترقب مافيه من وشى بالعـــاج والذهب والبرونز .. وكأنما هي في حلم .. ولمحت تمثـــالا ضخما للامبراطور .. فارتجفت وهي تسائل نفسها .. أي سلطان يستمتع به هذا الرجل الذي يقيم لنفسه تمثالا بهذا الحجم . ويلحق بقصره حديقة تبز أكبر الغابات .. بما فيها من أحراش وبرك مائية وجداول وأشجار والـذى يتلهى في سويعات متعته وصبثه .. بالقـــاء الآدميين أحياء الى الاسود والنمور ؟! ..
وصعدت خلف سبورس الدرجات المؤدية الى الجنـــاح الخاص بلوشيس . فلما بلغا باب مخدعه .. استوقفت العبد ووقفت برهة مترددة خائفة .. ثم تمالكت نفسها فأشارت له ففتح الباب بينما كان قلبهـــــا يقفز في صدرها لفرط الانفعال ..

ولمحت لوشيس مضطجعا على أريكة .. في ثوب أبيض بسيط .. فتبخرت من رأسها الهواجس .
كانت تخال ان عواطفها قد تغيرت بعـد أن وجدت ان فتاها سيد العالم وحاكمه..ولكنها ما كادت تراه .. حتى تلاشت صورة القيصر من مخيلتها .. ولم تعد تلوح لعينيها سوى صورة لوشيس بطلها المظفر الحبيب..فهمت أن تندفع

نحوه لولا أن خانتها قواها .. فجثت في منتصف الطـريق باسطة ذراعيها نحوه وهتفت :

ـ لوشيس .. انك مازلت لوشيس الذى عرفتـه .. أليس كذلك ؛

فأجابها فى رقة وحنان :

ـ أجل ياحسنائى الكورنثية .. لم أزل لوشيس فخففى عنك ! .. ألم تحبيني لانني كنت صاحب الاسم .. لاصاحب التاج . والامبراطورية .. والملك العريض ! .. الم تحبيني لشخصي لا لجاهى ككل من يحطن بى هنا ؟ .. تعالى يا آكتيه .. ان الدنيا تحت قدمى أما أنت .. فبين ذراعى !

واندفعت اليه .. فألقت بنفسها على صدره .. وهى تصيح :

ـ أواه ! .. كنت أعرف ان لوشيس ليس بالقـاسى الجاحد .. الذى يزعمونه !

ـ قاس .. جاحد !؟ .. من ذا الذى زعم ذلك ؟

ـ لا . معذرة . أن الاسد يعد أحيانا قاسيا . لانه قد لا يحس قوته فيبطش بمن يحب حين يعـانقه .. أواه ياأسدى .. هلا ترفقت بظبيتك !؟

ـ هونى عن نفسك يا آكتيه .. فان الاسد لا يشحذ مخالبه وأنيابه الا ليؤدب من يعادونه .

ـ لست خائفـة من لوشيس .. فانه دائما ضـيفى وحبيبى الذى عرفته وهجرت من أجله الوطن والاهل طامعة فى أن يجزينى حبا عما ضحيت به فى سبيله .. انما أخاف القيصر الذى نفى أوكتافيا أخاف نيرون زوج بوبيا المرتقب! ..

فصاح وقد قفز من مجلسـه .. وراح يحـدق فى وجهها :

ـ اذن فقد قابلت أمي .. اذن فهي التي نبأتك انني قاس .. والتي ذكرت لك أمر أوكتافيا التي امقتها .. والتي تظلها هي بحمايتها .. والتي دفعت بها الى على الرغم مني .. فلم أتخلص منها الا بعد عناء ومشقة .. آه شدما تخطئان حين يجول بخاطريهما ان بوسعهما ان تنالا مني شيئا بما تدبرانه من وشايات وتحوكانه من مؤامرات .. لقد كدت أنسى هذه المرأة التي جعلتها الآلهة خاتمة لسلالة لعينة ولن أسمح لأحد أن يذكرني بها !

ولم يفرغ لوشيس من كلماته ، حتى كانت آكتيه قد تهالكت شاحبة الوجه ، مغرورقة العينين مبهورة ، جزعة ، ولكنه استطرد وفي عينيه تلك النظرة التي طالما بعثت الفزع في روما بأسرها :

ـ أجل ، لابد أن أجريبينا قد ذكرت لك أن حبك لي سيكلفك غاليا ، وزعمت لك أنك لم تحبي غير وحش مفترس لابد أنها قصت عليك موت بريتانيكس ويوليوس مونتانس ، وغيرهما .. ولكنها حرصت على ألا تحكي لك أن أحدهما حاول أن يسلبني عرشي ، وأن الآخر ضربني بالعصا على وجهي .. لكأن حياة أمي أطهر وأعف من حياتي !

فصرخت آكتيه :

ـ لوشيس .. كفى يالوشيس بحق الآلهة !

ـ لقد أفضت لك بنصف أسرار الاسرة .. فدعيني أبوح لك بالنصف الآخر .. هذه المرأة التي تلومني لموت طفل .. نفاها أخوها كاليجولا يوما لخلاعتها واستهتارها رغم أنه كان أبعد الناس عن المغالاة في التمسك بالآداب والاخلاق .. فلما ولي كلوديس العرش ، دعاها من منفاها فتزوجت من كريسبيس باسينس ، سليل احدى الاسرات

العريقة ، فكان من الغباء بحيث أوصى لها بكل ثروته ، فلما استبطأت موته ، دبرت مقتله .

ثم بدأ الصراع بينها وبين ميسالينا ، ففازت بكلوديس وغدت عشيقة خالها .. ومن ثم نشأت عندها فكرة الاستئثار بالحكم عن طريقى .. وكانت أوكتافيا — ابنة الامبراطور — قد زوجت من سيلانس ، فتآمرت على اتهامه بالزنا ، فلم يلبث أن انتحر .. وغدت أوكتافيا أرملة .

وتحولت فدبرت مقتل لوليا باولينا ، منافستها فى الفوز بقلب الامبراطور .. واذ ذاك خلا لها الجو فتزوجت من خالها — كلوديس — وسعت حتى حملته على أن يتبنانى .. وعلى أن يستصدر من مجلس الشيوخ قرارا بمنحها لقب (أوجستا) .

فلما تم لها ذلك .. دست السم لكلوديس واستعانت عليه بطبيبه الخاص اكزينوفون — فغدت أرملة للمرة الثالثة

ثم رفعتنى الى العرش لتحكم باسمى ولاكون ستارا تلعب من ورائه .. على أننى لم أكد أرى فظائعها وجرائمها حتى ناهضتها .. فذكرتنى بأننى لست من الاسرة المالكة .. وما أنا الا ربيب الامبراطور وراحت تحمد الآلهة أن حفظت لها حياة بريتانيكس ليرث عرش آبائه .

واقسم لك أنني ماكنت حتى ذاك اليوم أفكر فى هذا الطفل الا بقدر ما أفكر الآن فى أوكتافيا لم يكن السم الذى دسسته له هو السبب فى موته..انما كان السبب تهديدها لى باحلاله على العرش محلى .. ومن ثم .. لم أقتله تلذذا بالجريمة .. وانما رغبة فى اخلاء الطريق من مزاحم على الحكم والسلطان . صبرا وأسمعى .. ولو أن ماساقوله كفيل بأن

يجعل كل عذراء فى براءتك وتقـــاء لفسمك كانت خطوتها التالية للتسلط على .. ان سمعت لتغريني على أن اتخـذها ـ وهى أمى ـ خليلة وعشيقة .

فصرخت آكتيه في ذعر : أواه .. كفى !

ـ وفي احدى المآدب .. وعلى مرأى من الحضور .. تقدمت منى فى أبهى زينتها .. وهى تكاد تكون عارية .. وخشى أعداؤها أن يستهوينى جمال جسدها ـ الذى لاينكر سحره أحد ـ فزجوا ببوبيا بينى وبينها .. فما رأيك الآن فى أمى يا آكتيه ؟ هذه هى أسرتنا التى يجعل النـــاس من أفرادها آلهةمقدسة !. كلنا قتلنا وسفكنا الدماء .. وارتكبنا أفظع الجرائم .. هى هواية توارثناها .. فكانت مبعث لذة لكل منا .. ولو أننى استطعت .. لقتلت أمى !

فندت من آكتيه صرخة فزع .. وانكفأت على وجههـــا باسطة نحوه ذراعيها .

ولكن القيصر استطرد وعلى شفتيه ابتسامة غريبة :

ـ أو تأخذين على محمل الجد ماقصدت به مجرد المزاح ؟. رفهى عن نفسك ياحمقائى الصغيرة .. فمـــا جئت لتقضى أيامك فريسة للخوف والفزع .. ؟ أو خفت حين استدعيك أن ألوى ذراعيك.. أو أفصل ساقيك عن بدنك وانا اطوقك بذراعى ؟.. أفيقى .. أأنا القيصر ؟. أأنا نيرون ؟ أأنا ابن اجريبينا ؟ انك تحلمين يا ابنة كورنثية الساحرة .. ؟ فما أنا الا لوشيس المصارع .. سائق العربة . المغنى ذو القيثارة الذهبية والصوت الجميل .

فقالت وهى تسند رأسها الى كتفه :

ـ كم يخيل الى أحيانا اننى فى حلم لن البث أن اصحو منه فأجدنى تحت سقف أبى .. الا رفقا بضعفى يالوشيس

ولا تسقنى الى الجنون •

— وانى لك هـذه الهواجس يافاتنتى ؟ اذا لم يرضك هذا القصر أقمت لك آخر من ذهب وفضة واذا شممت من العبيد الذين يخدمونك تقصيرا فى احترامك فمرى يساقوا الى الموت سوقا •• كل بغية لك نافذة •• فتمنى تعطى ! •

— أعرف ان لك من السلطات ما يمكنك من أن تتيح لى كل ما أطلب ، الا راحة البال ، والاطمئنان الى أن لوشيس لى وحدى •• لا يزال أمامى جانب من نفسـك ينزوى تحت ظلمات الغموض •• انما أنت لروما ، للامبراطورية ، للعالم كله ، لا لى وحدى •• لك أسرار خفية ، وفى قلبـك تعتمل البغضاء نحو أناس لا أعرفهم ، ويختلج الحب لقوم لا أدرى من يكونون •• فى أشد لحظات انتشائنا بالحب ، قد يفتح باب من خلفى — كما يحدث الآن فعلا — ويشير اليك حاجب باشارة خفية لا أدركها •

فقال نيرون للحاجب الذى بدا عند الباب فعلا :

— ماذا هناك يا انيستس ؟

— المرأة التى أمر بهـا القيصر المقدس • فى انتظار مولاى •

فقالت آكتيه وقد انصرف الحاجب :

— أرأيت ؟ • أنها امرأة •• ولقد رأيتك تجفل عندمـا سمعته اسمها •

— أوليس ثمـة عاطفة تبعث على الاجفال ، غير ذكر الحب ؟

— انى لاعرفها يالوشيس •• انها •• انها بوبيا •

— بل أنت مخطئة ، فما هى غير لوكستا !

وغادر نيرون مجلسه فسـلك بعض الردهات السرية

الخفية ، التي لا يعرفها سواه وسوى نفر من أخلص خدمه وعبيده حتى انتهى الى حجرة صغيرة لا نوافذ لها .. سوى ثغرة في سقفها يتسرب منها النور والهواء .. ولا تكاد تتسع لاخراج سحب الدخان المنبعثة من مباخر برونزية نثرت في جنبات الحجرة .. الى جوار أوعية وقنان من زجاج ، مختلفة أشكالها وحجومها وألوانها ، أحكمت سداداتها وأغطيتها .. وعلت جوانبها كتابات غريبة .. ولفها جو غامض . وكانت العين تقع فضلا عن كل هذا .. على اعشاب ونباتات مجففة من كل نوع وصنف .. وعلى رءوس واذناب ثعابين واجزاء اقتطعت من أجسام مختلف الحيوان الكاسر والأليف .. مجموعة من أشياء غريبة متباينة ، تبعث على الرهبة .. وتوحي للداخل بحقيقة المكان .

فهنا كان الوكر الذي تجرى فيه عمليات السحر وتحضير أفتك السموم مما يستعين به الامبراطور على تحقيق أغراضه ومطامحه .

ووجد نيرون في انتظاره هناك امرأة اتشحت بالسواد وقد انكبت على أحد النباتات في استغراق جعلها لا تفطن الى مقدم الامبراطور . بل ظلت في عملها وقد انعكست على وجهها ألوان من الخوف والبغضاء والاشمئزاز .

فلما انتبهت أخيرا . تطلعت اليه فاذا وجهها ينم عن أنها لم تتخط السابعة والثلاثين من عمرها . واذا على قسماته مسحة من جمال عفى عليه طول السهر والاسراف في اللهو والعبث .

وبادرت نيرون متسائلة :

ـ ما الذي تبغيه الآن مني ؟ .

فأجابها :

ـ أو تذكرين الماضى أو ؟ •• أو تذكرين كيف انتشلتك من غياهب السجن حيث كنت تعانين مرارة الموت البطىء •• فى بقعة قذرة مليئة بالهوام والحشرات ؟ • أو تذكرين كيف شيدت لك بيتا خاصا زودته بأفخر الرياش • كأنما اقمته لعشيقة غالية ؟ . لقد جعلت من مهنتك التى كانت تعتبر من قبيل الاجرام •• فنا من الفنون التى ينظر اليها بعين الاحترام •

ـ ولقد جازيتك عن هذا بأن اتحت لك نصف سلطان جوبيتر •• جعلت الموت رهن اشارتك فمن الذى تسعى لموته هذه المرة ؟

ـ انه عدو خطر ، قوى لا استطيع ان أهمس باسمه ولو لتمثال الصمت والكتمان • كل ما عليك هو ان تحرصى على أن يكون السم فى هذه المرة فعالا يقتل لاول وهلة •

ـ ليس أسهل من تحضير سم فتاك •• ولكننى لم أسألك عن الضحية الجديدة الا لاعد لكل حال لبوسها •• فلعلك تعلم ان من الناس من يروض امعاءه على تقبل السموم فهو يزجى اليها جرعات متفاوتة منها •• آنا بعد آخر • حتى تعتادها • فلا تتأثر بها •

ـ للمرة الثانية أذكر لك اننى لن افضى لك باسم عدوى • فسلى فنك وسحرك أن يعوضاك عن ذلك •

ـ اذن ، فلن أستطيع اعداد شىء هنا •• فدعنى أنصرف وساعود بعد ساعتين ••

ـ بل اننى ساصحبك ولا تخشى شرا فسأكون وحيدا معك ••

وتبع الساحرة فغادرا القصر الذهبى ، واتخذا سبيلهما

خلال طرقات روما المعتمة ، دون ان يتبعهمـــا جندى أو يحرسهما ، أو يسبقهما عبد يضيء لهما السبيل ٠٠ حتى اذا بلغا بيت (لوكستا) طرقت الباب طرقة خاصة ، ففتحتـه عجوز أفسحت لهما الطريق ، فيممت لوكستا شطرا المكان الذى اعتادت ان تعد فيه سمومها ، والقيصر فى أثرها ٠

وكانت الحجرة ممتلئة بالهياكل العظيمـــة والموميات المصرية ، والتماسيح والزواحف المحنطـة وتبين الامبراطور وسط هذه المجموعة العربية ، جمجمة انسان التفت حولهـا حية رقطاء تطلعت اليها لحظة بعينين كانهما جمرتان متقدتان ثم تحولت الى اناء به لبن ، دست فيه رأسها وراحت تلعق مما احتوى ٠٠

واشعلت لوكستا نارا أخذت تذكى ضرامها ، ثم أرسلت من بين شفتيها صفيرا حادا ٠ فسعت اليهـا الحية فى خوف وتردد ٠

فانحنت المرأة وثبتت أصبعين حول رأسها ورفعتهـا معرضة الرأس للهب ٠٠ وتلوت الحية فى ألم وابيض جلدها اذ تحلل مافيه من سم وأخذت ترتجف ثم انطلقت من فيها ثلاث أو ربع نقط من هذا السم فسقطت على الجمر ٠

وكان هذا كل ما ابتغته لوكستا ٠ فأفلتتها ، وتناولت الجمر فوضعته فى قطعة من قماش وغادرت البيت تقود عنزا صغيرة والامبراطور يتبعها فى صمت حتى بلغا (تل اسيكيلين) واشرق القمـر اذ ذاك ، فلاحت لاعينهمـــا جثث المجرمين والمسيحيين ٠٠ وقد علقت على عمد من خشب بعد اعدامها ٠

وسارت لوكستا حتى بلغت كثيبا ركعت عنده ، فاحتفرت فى الارض حفرة القت فيها بالجمرات ثم أدنت العنز ، وقطعت

الشريان الذى يجرى فى حلقها ، وأطلقت مافاض منه من دماء على ما فى الحفرة ••

وراحت تتمتم خاشعة ، فى استغراق ، برهة طويلة •• ثم نهضت أخيرا وقالت :

ـ لقد عجز كل ما فى طاعتى من قوى السحر ، ازاء مالديها من سلطان •

ـ أو تعرفين اذن ضحيتى ؟

ـ أجل ، انها أمك ••

ـ حسنا ، سأبحث عن وسائل أخرى تنيلنى بغيتى •

وانصرف الى (القصر البلاتينى) فى طيات الظلام •

وفى الصباح التالى تلقت آكتيه رسالة من حبيبها يدعوها الى اللحاق به فى (بابيه) حيث أعتزم ـ برفقةأمه أجريبينا ان يحتفل بعيد (مينرفا) •

الفصل السادس

كانت الساعة العاشرةمن مساء احدى الليالى بعد أسبوع من الحوادث السابقة ، وقد بزغ القمر •• وأرسل أشعته تغمر خليج نابولى •• حيث راحت بعض القوارب تتسلل من آن لآخر • هادئة كأنها تخشى أن يعتكر صوت ارتطام مجاذيفها بالماء •• أو حفيف احتكاكهـــا بصفحته •• صفاء الليل وهدوءه •

وانقضت ساعة أخرى • ازداد الليل فيها هدوءا وسكينة والسماء صفاء واشراقا . . والبحر استكانة ونعاسا . وبدت الليلة من أروع ليالى نابولى الساحرة •

وفجأة ، رأى ملاحو السفن الراسية قرب الشاطىء

أضواء مشاعل تنعكس من بين أشـجار البرتقال التى يقبع خلفها قصر (باولى) ... وسمعوا اصـواتا تزخر بالمرح والسرور ... ثم رأوا جماعة تبرز من بين الاشجار ساعية الى قوارب كانت تنتظر عند الشاطىء ، يتقدمها مركب ضخم تألق تحت وهج المشاعل مازين به من وشي بالذهب والفضة ..

ودهش الملاحون اذ رأوا على رأس الجمـاعة القيصر نيرون ، وقد اتكأت على ذراعه أمه اجريبينا ، وشاع فى وجهيهما البشر والحبور ..

كان المنظر خليقا بأن يبعث على الدهشة حقا ، فما رأى الناس اجريبينا في صحبة نيرون ، وفى مثل هذا السرور ، منذ موت بريتانيكس ...

ولما بلغوا حافة الشاطىء ، أقبل نيرون على أمه يقبلهافى حنان مصطنع . ثم قادها الى المركب وتحول الى ربانه قائلا :

ــ اننى أعهد بأمى الى رعايتك يااتيستس . ولن أشفق عن أن أطيح رأسك اذا مسها أى سوء ...

ووقفت أجريبينا تلوح لابنها حتى ابتعدت السفينة عن الشاطىء . فأوت الى مخدعها .. غير انها لم تكد تضطجع بين الوسائد الوثيرة . حتى انزاحت احدى الستائر . وبرزت من خلفها فتاة شاحبة اللون مرتجفة الاوصال . القت بنفسها عند قدمى أم نيرون هاتفة :

ــ أماه ! ... أنقذينى ! ..

وبهتت أجريبينا اذ عرفت فى الفتـاة تلك الاغريقية الحسناء . التى حملها ابنها من كورنثة فمدت يدها وانهضتها قائلة :

ــ آكتيه ! .. أأنت على ظهر سفينتى حقا ؟ ... وممن تسألينني أن أنقذك . ولك من القوة والسـلطان ما أعاد الى

صداقة ابني ووده ؟ .

ــ منه .. من نفسي .. من حبي . من البلاط الذي يبعث الفزع في أعماقي .. من هذه الحيـــاة الغريبة الجديدة على .. لعلك لاحظت انني اختفيت أثناء المادبة دون أن اعتذر الى الامبراطور فهل كنت ترين في وسعي أن أمكث وسط هذا العبث الذي تتضرج لفرطه وجنات كاهنات فينوس خجلا ؟ .. أما سمعت أغانيهم يا أماه ؟ .. أو مارايت المحظيات والجواري العاريات يرقصن فتثير كل حركة منهن أدنأ مشاعر الرجال .. لم اطق رؤية هذه المخازي . ففررت الى الحديقة . فاذا بهـا باب أفضى بي الى البحر . فرأيت السفينة وعرفتها . وأوهمت الحراس اني من حاشيتك . وانني أمرت ان أبقى عليهـا في انتظارك .. وبين الملاحين والجنود نعمت بجو انقى وأصفى مما كنت استنشق وأنا بين نيرون ونخبـــة نبلاء روما .. لست أبغي سوى أن تؤويني في قصرك المطل على بحيرة لوكرين ولو كخادم أو جارية ، وان تتيحي لي نقابا يستر خجلي وما أحس به من أستحياء ..

ــ اذن ، الا تبغين أن ترى الامبراطور مرة أخرى ؟ .. أتحبين أن تهجريه فيتداعى وســـط هذه المباذل العابثـة الصاخبة ، تداعي السفينة وسط الامواج العاتية ! ..

ــ أواه ، يا أماه ! .. لو لم أكن متيمة في حبــه ، لراجعت نفسي وبقيت معه ، ولكنني أوقن انك ترينين بي عن ان أراه يضفي حبه على تلك الخليعات ويساويهن بي .. انني لو بقيت بين الاشرار فلن البث أن أعدو شريرة .. لو انني مكثت وسط تلك الماجنات لجاريتهن في المجـون ، ولسعيت مثلهن بالدس والوشاية ، ولســـاهمت معهن في تدابيرهن ومؤامراتهن ..

وأمسكت فجأة اذ رأت اجريبينا تنعم النظر خلال نافذة قمرتها ، ثم تصيح فجأة داعية أحد خدمها ، قائلة له :

مالي أرى السفينة تسعى الى عرض البحر بدلا من أن تتجه صوب قصري القائم عنـــد بحيرة لوكرين ؟ .. ادع انيستس الى .

ولكن الخادم عاد بعد لحظات كان القلق خلالها يفري كبدها فقال : ان انيستس يرفض ان يطيع أوامرك ، وقد دعا رجاله ان ينزلوا الزوارق الى الماء .

وقفزت من مضجعها مغضبة تسعى اليه ، ولكنها فوجئت بسقف الحجرة ينهار ، فصرخت والقت بنفسهـــا بين ذراعي آكتيه .. وأيقنت المرأتان بالهلاك .. وتصاعدت الصيحات والصرخات من كل صوب .. وزلزلت السفينة تحـــت أقدام اجريبينا وآكتيه . واندفع المـاء خلال الثغرات يطغى فيغرق السطح ..

وادركت اجريبينا ان الموت قد أحاط بها من كل مكان ، فلم تتردد في أن تلقى بنفسها الى البحر داعية آكتيه أن تحذو حذوها ، فما ان فعلتا ، حتى رأتا السفينة تغوص هابطة الى القاع .. وغاصتا في الماء وهلة خالتاها عاما ثم ارتفعتا الى السطح ثانيــة . فاذا القوارب تسعى بالرجال ، واذا برأس يبرز من تحت الماء فيصيح : « النجدة ! .. أنا اجريبينا ! .. أنا أم القيصر ! » .

وكادت آكتيه تفعل مثلها ، لولا أن رأت أحد المجذفين يرفع مجذافه فيهوي به على الرأس حتى ارسله وصاحبته ـ التي لم تكن سوى جارية كذبت في سبيل النجاة ـ الى قاع البحر .. فغطست آكتيه واجريبينا مرة أخرى تحت الماء ، ريثما ابتعدت القوارب .

وأخذت أم القيصر وخليلته تسبحان نحو الشاطيء في صمت ، بينما اسرع انيسيتس في زورق نحو « باولى » يكاد يطير غبطة ، اذ ظن أن المهمة التي اناطها به مولاه قد تمت على خير أداء ..

وكان الشاطيء بعيدا .. ووجدت آكتيه واجريبينا نفسيهما بعد أن جهدنا في السباحة نصف ساعة ، لا تزالان بمنأى عنه بما يزيد على الميل .. وكانت كتف اجريبينا قد أصيبت بجرح بالغ لم تفطن اليه في بادىء الامر ، ولكنهما سرعان ما استشعرت وخزه ، حين هد التعب قواها . وأدركت آكتيه ما أصابها من أعياء ، فاقتربت منها وتناولت ذراعها ، فاسندتها الى كتفها .. ومضت تسبح وهي تجرها جرا ، رغم الحاح هذه في نصحها ان تدعها وتنجو بنفسها .



في تلك الاثناء ، كان نيرون قد عاد الى قصر « باولى » فاستانف العبث في الحفلة الصاخبة الماجنة ، التي كان قد أقامها في ذلك المساء .. ولكن ضجيج اللاهين لم يستطع أن يطغى على هواجسه فكان يرتجف من حين لآخر ، ويحس بالعرق يقصد من جبينه .. ويخال أنه يسمع آخر صرخات أمه وهي تغرق ..

وبعد ساعتين .. أقبل عبد همس في أذنه كلمات لم يسمعها سواه .. فألقى القيثارة من يده ، وشحب لونه .. ثم اندفع مغادرا قاعة المأدبة .. تاركا خلفه فزعا سرى الى قلوب الحاضرين .. فما كان أحد منهم يحدس شيئا من الاحداث الرهيبة .. أو يعرف الخطة الفظيعة التي كان الامبراطور قد دبرها .. وأطرق الكل صامتين .. بينما أوى

نيرون الى مخدعه • وارسل فى طلب اليستس • فما أقبل حتى بادره قائلا :

– لم قلت لى أنها غرقت •• وقد اتانى منذ لحظات رسول منها ؟ •

– بل اننى رأيتها بين طيات الموج •• ورأيت مجذاف أحد الرجال يهوى على رأسها حتى هشمه وارسلها الى قاع اليم ••

– اخطأت •• فما المقتولة غير احدى جواريها •• أما هى فقد نجت •• كما أكد خادمها ••

– وما الذى يعتزمه مولاى ؟

– اذا كنت واثقا من أن فى مكنتى الاعتماد عليك •• فاختبىء فى الغرفة المجاورة •• حتى اذا صرخت أطلب النجدة •• فتعال واقبض على رسولها •• وازعم انك وجدته يشهر خنجرا أو سيفا يريد قتلى ••

واذا خلا نيرون الى نفسه •• دعا برسول اجريبينا أن يقاد اليه •• وراح ينصت اليه وهو يقص عليه نبأ غرق السفينة •• وكيف راحت اجريبينا تسبح جاهدة حتى اذا أخذ التعب منها كل مأخذ ••وأوشكت ان تستسلم للامواج •• وقد خبا فى صدرها كل بصيص للامل ، مربها قارب صيد انقذها وحملها الى قصر بحيرة لوكرين ، فما بلغت القصر حتى بادرت بازجاء النبأ الى ابنها تطمئنه ، وتدعوه الى زيارتها •

وانصت نيرون متظاهرا بالجزع والهلع ، الى أن أتى الرسول على نهاية القصة •• وفى حركة خاطفة ، ألقى نيرون سيفا بين قدمى الرسول ، على حين غرة ، وفى مفاجأة ارتبكت الرجل والجمت لسانه ••وأطلق نيرون صراخه يطلب النجدة ،

فاقبل انيستس ورئيس الحرس ، والقيا القبض على رسول اجريبينا الذى غمره الذهول ، فلم يحر حراكا ..

وانطلقت الالسنة فى ارجاء القصر تشيع ان اجريبينا دبرت مكيدة لقتل الامبراطور ، فأرسلت له رسولا انتهز فرصة انفراده به ، فأوشك ان يقتلـه ، لولا رعاية الآلهة للقيصر المقدس ..

أما ما حدث لاجريبينا ، فلم يعد ما قصه الرسول ، وان اسقطت اجريبينا عمدا من رسالتها بعض حوادث .. فلم تذكر ان آكتيه كانت معها ، حتى صادفها زورق الصياد ، ففضلت أن تعهد اليه بأم الامبراطور ؛ وسبحت هى الى الشاطىء ، حتى لا يكشف احد ما كان من أمرهما معا ، وما كان بينهما من صلة .. واتجهت آكتيه الى الشاطىء المقابل لمرفا باولى ، بينما سألت اجريبينا الصياد أن يتجه صوب المرفا نفسه ..

وكان أنيستس فى عودته ؛ قد نشر نبأ غرق المركب وفيه أم القيصر .. متظاهرا بالحزن والهلع فاخذت وفود الناس تتقاطر على الشاطىء .. وأثار الحادث ضجة وصخبا .. فلما بلغ القارب المرفأ وهبطت منه اجريبينا . ذهل القوم برهة .. ثم هرعوا يستقبلونها فى عاصفة من الفرح الصادق الخالص .. ولكنها لم تشأ ان تبقى طويلا .. بل أمرت ان تحمل توا الى قصرها .. فاعتكفت فى مخدعها .. واستدعت خير خدمها واكثرهم ولاء لها .. فارسلته الى ابنها ..

واستسلمت بعد ذلك للهواجس .. حتى فطنت الى أن جلبة الجموع التى كانت تتجمهر حول القصر قد خفتت فجأة وساد الكون صمت مباغ ملىء بالرهبة والتوجس .. وان هى

الا لحظات حتى سمعت بوقا ينذر بمقدم ثلة من الجنود .. لم تلبث أن سمعت خطواتهم في الطريق .. ثم في ردهات قصرها .. ثم .. عند باب مخدعها .. ودفع الباب في عنف .. ودخل منه انيستس .. فادركت ما في الامر .. وحدسمت أن ابنها أرسله لشر لا محيص عنه .. وتلفتت حولها .. ولكنها لم تر للفرار منفذا .. فاستجمعت كل شجاعتها . وصاحت فيه :

اذا كنت موفدا من ابني لتسأل عن حالى .. فقل له انني أفقت من الصدمة التى اصابتنى اثر الحادث .. وان كنت قادما تبغي شرا .. فعجل به ..

ولم يجب .. بل جرد سيفه من غمده .. وسار نحو سريرها .. فنحت عن جسدها الغطاء وهتفت به : « مزق أحشائي .. مزق أحشائى ! » ..

وأجاب انيستس رغبتها .. فمزق الاحشاء التى حملت يوما الابن العاق الذى دبر قتلها .



أما آكتيه .. فقد مضت تسبح نحو الشاطيء - بعد أن استقلت اجريبينا قارب الصياد - ولكنها حين اقتربت من البر . رأت جموع الاهالى الذين استثارهم نبأ غرق اجريبينا ثم اذهلهم ظهورها على قيد الحياة .. وخشيت آكتيه ان يكشف أحد من أولئك القوم حقيقتها .. فقصدت ناحية منعزلة مهجورة .. ولكنها كانت كلما اقتربت منها .. أحست بالخور يطغى عليها .. وثقل رأسها واشتد بها الدوار . حتى أشرفت على الضياع .. فهمت ان تصرخ تطلب النجدة لولا أن ملاء الماء فمها وتسرب الى حلقها .. وفى لحظة اليأس .

عن لها أن تبذل آخر جهدها .. كى لا تغطس تحت الماء ، فلما فعلت ، لمحت البر على مقربة منها ، فابتهجت ، وناضلت ساعية اليه ، رغم ماشعرت به من نصب كان يثقل حركتها ، ويشل اطرافها ..

وظنت انها هالكة لامحالة .. وراودت ذهنها الذكريات الحبيبة .. وتمثلت لها صورة نيرون مستغرقا فى العزف على قيثارته ، بينما كانت تدنو من قبضة الموت حثيثا .. وعادت ترسل بصرها الى الشاطىء .. فلاح لها شبح رجل عجوز .. تحيط براسه هالة من نور .. وهاجمتها موجة فصرخت فى اعياء وقنوط .. فاذا بصرخة تجاوبها .. ثم مرت الموجة بسلام .. وعادت تطفو على وجه الماء .. فرأت الشيخ يشير اليها ان تشجعى وكافحى وتعالى ..

وبحافز من حب الحياة .. جاهدت من جديد .. وواتتها قوة خارقة .. فاندفعت نحو صخرة بارزة عند الشاطىء .. ثم تولاها الم قاس .. وفقدت رشدها ..

وكان الليل لايزال عاقدا ألويته على الكون حين استفاقت ، فرأت انها مدثرة بعباءة .. والى جوارها رجل ركع عند رأسها .. وأقبل يقطر الماء فى فمها .. وعجبت اذ تبينت فيه الشيخ العجوز الذى لاح لها عند الشاطىء فى ساعة اليأس .. واطمأن قلبها لوجهه الصبوح وملامحه الهادئة الوديعة .. فغمغمت وكأنها فى حلم :

ــ أواه ياأبت ! .. لقد دعوتنى فشجعنى نداؤك .. لقد انقذت حياتى .. فقل لى اسمك حتى استمطر البركات عليك ..

ــ اننى أدعى بولس ..

ـ ومن تكون ؟

ـ من تلاميذ المسيح

ـ لست افهمك .. ولكنني ، على كل حال ، اثق فيك ثقتي في ابي . فقدني حيثما شئت فنهض الشيخ وسار . وهي في اثره ..

الفصل السابع

قضى نيرون بقية ليله مسهدا قلقا ، يخشى أن يكون أنيستس قد أخفق في مهمته ، أو أن تكون اجريبينا قد اشتمت رائحة الخطر المحدق بها ، ففرت قبل ان يبلغ أنيستس قصرها ..

على انه لم يكد يتلقى انيستس عند عودته ، حتى خيل اليه ان الآلهة قدعوضته عن هواجسه ومخاوفه وأرقه خيرا ..
ولاول مرة شعر انه الحاكم بأمره بحق ، وانه مدين بذلك لانيستس ..

وبادر لتوه الى تدبير الاجراءات التي تمحو أية شبهات تحوم حول مصرع أمه .. وانحصرت خطته في أن ينشر على الملا أن اجريبينا حاولت قتله لتسيطر على العرش وتخضع الامبراطورية لحكم امرأة ، ولكن مؤامرتها فضحت ، فخشيت أن يعرض الامر على مجلس الشيوخ ، فيوقع عليها القصاص ، ومن ثم آثرت الانتحار ، فطعنت احشاءها بسيف .. واستغل حادث غرق السفينة .. وهو الحادث الذى كان قد دبره للخلاص من أمه ـ فزعم أنه كان نذيرا من الآلة لاجريبينا كي ترجع عن نواياها الخبيثة ، فلم تتعظ ..

وحرص نيرون على أن يلعب دوره بمهارة حتى لاينكشف، فاعلن الحداد ، وتظاهر باللوعة المفرطة ، والاسى البالغ ·· وقصد فى رفقة حاشيته الى قصرها ليودعها الوداع الاخير · وعلى وجهه حزن زائف ، واكتئاب مصطنع ·· ولكنه حين وقف امام مضجعها ·· والقى نظرة على جثتها المسجاة ·· التفت الى سبورس ـ وكان الوحيد الذى رافقه داخل المخدع ـ فقال فى خبث ماكر دون ان يرعى ماللموت من حرمة :

ـ ماكنت احسب أنها كانت على هذا القدر من الجمال !·

وأقبل الصباح ·· وانتشر نبأ موت اجريبينا فتدفقت الجماهير على قصرها ·· وبث رجال القيصر اشاعة محاولتها الاعتداء على ابنها لانتزاع الملك منه ، فاثارت لغطا وضجة بين القوم ·

ولكن شيئا من هذا كله لم يصل الى المأوى الـــذى قاد بولس اليه آكتيه ·· وكان هذا المأوى بيتا صغيرا فى أحقر أحياء روما ، يسكنه صـــائد سمك مع اسرته ·· فما بلغته آكتيه ، حتى أفرد لها فى احدى حجراته فراشا ·· تهالكت عليه خائرة القوى ، وراحت فى سبات عميق ، والشيخ ساهر بجوارها ·· فلما استيقظت ·· دهمتها الذكريات المريرة ، غير ان عينيها وقعتا على وجه الشيخ الصبوح ·· فانتزعت دياجير الهموم ابتسامة ، وتطلعت اليه

وسألها فى اشفاق : اتعانين ألما ؟

فأجابته فى جوى : بل آكتوى بالحب ·· لســـت أبغى سوى مكان قصى أنتبذ الناس فيه وأخلو الى همومى ودموعى ·

وانتظر حتى هبط الليل التالى ، فأمر العجوز صـــاحب البيت أن يقيم اشارة اتفقا عليها ·· فسرعان ما أقبل رجل من

(نيسيلنا) يسعى ، فتقدم من بولس يحييه فى احترام بالغ، وانحنى أمامه يتلقى بركاته ..

وباركه بولس ثم أزجى اليه بتعليماته ، فانطلق بولس وآكتيه فى أثره ، وقد دهشت الفتاة لما يلقاه الشيخ من تجلة واحترام ، كما لو كان ملكا ذا سلطان .. ولكن أى سلطان ؟

كانت اقامتها القصيرة فى بلاط نيرون قد أطلعتها على الملك المقام على القسوة والبطش ، وأرتها كيف يعتمد السلطان على القوة والجبروت .. أما نفوذ بولس ـ كما شاهدته فى النطاق الضيق المحصور فى الاسرة التى كانت فى ضيافتها ـ فكان من نوع آخر .. كان يتلقى الاحترام فى تواضع وكان يتلقى الطاعة عن تطوع ورضا ممن يقدمها . لاعن صدوع بأمر لامحيص عن تنفيذه ..

واذ استبدت بها الحيرة سألته : من أنت يامن يطيعك الكل دون خوف او رهبة ؟ .

ـ قلت لك يافتاتى اننى تلميذ المسيح .. لست ممن يعتمدون على القوة والجبروت .. لست أستعبد الناس .. بل اننى جئت أدعوهم الى ان يكونوا أحرارا ..

ـ لست أفهمك وان كنت تتكلم اليونانية كما لو كنت من أبنائها ..

ـ انما عشت ستة أشهر فى أثينا .. وعاما ونصف فى كورنثه .. كان ذلك منذ خمس سنوات وقد احترفت فى كورنثه عمل الخيام للجنود والرحالة .. حتى لا أكون عالة على مضيفى وكنت كل يوم سبت أعظ الناس .. وادعوهم الى تعاليم الكتاب المقدس ..

وهتفت آكتيه : آه .. لقد تذكرت . أما قلت لك اننى من بنات كورنثه ؟ .. الم تكن ذاك الذى اتهمه اليهود لدى

جاليو .. حاكم (أخايا) ؟ .. لقد أشار اليك أبى وأنت تمر ببابنا بين الحراس .. وقال لى : « انظرى يا ابنتى ! .. هاهو ذا رجل صالح يمضي من بيننا ! »

ـ وكيف تسنى أن تتركى أباك وتأتى الى هذه البلاد .. فاعثر عليك وأنت موشكة على الغرق ؟ قصى على أمرك يابنيتى .. وانتظرى حتى أعترف لك بجرائمى فتقيسى بها خطاياك .. أجل .. ان لى جرائم .. وقد تبت وأنبت .. وأرجو أن يكون الله قد غفر لى .. سأحدثك بما لم تحيطي به من قبل خبرا .. عسى أن تذكرى قصتى يوم تعرفين ذاك الذى سأخبرك عنه .. فتؤمني به وتعبديه

ومضى بولس يقص عليها قصة مولد المسيح عليه السلام وكيف بعث بالرسالة الالهية .. فكان بولس من الكافرين به .. الناقمين عليه .. المضطهدين له .. حتى رأى بعينيه بعض آيات المسيح ومعجزاته .. وشهد كيف اجتذبت هذه المعجزات وتلك الآيات الكثيرين الى الايمان بدعوته فلم يزده ذلك الا اندفاعا فى عدائه له .. فلما وقع المسيح فى يدى بيلاطس الذى جمع شيوخ اليهود واستشارهم فى امره .. فأشاروا بقتله .. كان بولس بين من صاحوا يطالبون بصلبه .. وظل يرقب القوم وهم يثبتون المسامير فى راحتى المسيح وقدميه .. فسمع بأذنيه صيحته ينادى الله .. فخيل اليه ان الارض ارتجت لهذه الصيحة .. على انذلك لم يزده الا امعانافي مقت المسيح وتلاميذه اذ كان أعمى القلب اصمه .. وشـام فيه قساوسة اليهود هذه العداوة فأوفدوه الى سوريا ليقاوم الدعوة المسيحية هناك . غير انه لم يكد يبلغ قمة الجبل المشرف على دمشق .. حتي ومض ضوء باهر من السماء .. فانكفأ على الارض كالميت .. واذ ذاك سمع صوتا يناديه :

ـ لم حكمت على بالصلب ياشاول ـ انا عيسى أناديك ..
ولسوف اكرسك لنشر رسـالتى التى كنت تسعى لقمعها والقضاء عليها

وأصيب بالعمى ثلاثة أيام قضاها دون أكل أو شرب .. حتى أتاه انانياس .. فمسح على عينيه فاذا بصره يرتد اليه .. ومنذ ذاك اليوم .. وقف بولس حياته على نشر دعـوة المسيح .. وعلى التكفير عن ذنوبه وخطاياه

وهتفت آكتيه حين فرغ بولس من قصته : أواه ياأبتاه! .. لقد قصصت على قصتك .. فاستمع الى قصتى .. انها لقصيرة .. وان كانت رهيبة .. انني عشيقة القيصر ؟

ـ ليست هذه سوى خطيئة يا ابنتى

ـ ولكننى أحبه .. أحبه بكل مافى قلبى من عاطفة .. أحبه حبا لم يعرفه بشر فى الارض .. أو اله فى السماء

فغمغم الرجل فى أسى : وا أسفاه ! .. هذا هو الجرم !

وركع فى ركن من الكوخ الذى كانا فيه .. يصلى من أجلها !

الفصل الثامن

عندما حل المساء التالى .. تأهب بولس للرحيـل مرة اخرى .. فتبعته آكتيه فى صمت .. لاتأبه اين يقودها .. ولا يشقيها ان تعرف اين ينتهي بهـا المطاف .. كان بعد الاهوال التى رأتها لاتهتم الا بالفرار بعيدا عن نيرون .. بعيدا عن الرجل الذى استولى على قلبها .. فاستبد فى سلطانه عليها .. فقد كانت تحس أن هذا الحب سيفضي بها الى الدمار والضياع فى غمرة الحياة المحمومة التى يعيشها .. كان عجيبا أنها حتى

تلك اللحظة التي لم تهب حبهـــا الا للوشيس وحده ..
لا لنيرون وأنها حتى ذاك الاوان كانت ترى فتاها البطل المظفر شخصا آخر غير الامبراطور .. وكانت واثقة من حبهـــا للوشيس ، خائفة متوجسة من حب نيرون لها ، وكانما هـو غريم يريد أن ينتزعها من حبيبها !

وعندما أوفت الساعة على الواحدة بعد منتصف الليل ، اوى بها بولس الى باب بيت يقوم وسط حقل نضير ، ومرة اخرى ، رأت آيات التبجيل والطاعة تقـدم لبولس في غير اكراه ، ورأت مدى تعلق المسـيحيين بدينهم ، وايمـانهم بربهم فسرى عن نفسهـــا ماكان يوحى اليها من أبيهـــا وعشيرتها عن المسيحيين من آراء سيئة .

وعاودا رحلتهما في المساء التالى . فاويا هـذه المرة الى كوخ عبد يعمل في ضيعة غنى واسـع النفوذ ، وهفا بقلب آكتيه ما رأته من محبة يبديها ذلك العبد لتلميذ النبى الذى لبى دعوته ، وأدهشها أن تجــد المسكين ينزل عن رغيف لبولس وهو أحوج ما يكون اليه ، ولكنهما ما كادا يشرعان في اقتسام الرغيف ، حتى سمعت آكتيه نحيبا يتصاعد من خلف باب يفضى الى حجرة أخرى في الـكوخ ، فنبهت اليه بولس فأجابها .

ــ اننى أسمعه يا ابنتي ، ولكن الذى أرسل هذه الدموع كفيل بان يدخل الراحة والطمأنينة على القلب الذى سكب آلامه في ذويها .

وأقبل العبد صاحب الكوخ ، فجلس في ركن ، ودفن وجهه في راحتيه ، وانطلق بدوره يبكى ، وقال بولس ، اذ توسلت اليه آكتيه أن يرفق عن المتعوس :

ــ انما ينقصه الايمان يا فتاتى :

فصاح الرجل : وكيف تريدنى على أن أومن وما كانت حياتى يوما سوى أحزان متواصلة . ما كنت سوى عبد ، ابن عبد ، فلما استشعرت لحظة لذة الحياة أو هناءتها ، لم يكن من نصيبى سوى النصب والوصب ، حتى اذا خطر لى أن ارتاح ، وجدت السياط تنهال على جسدى تستحثنى لمواصلة التعب ، دون أن أكافأ لقاء ما أعانى .. بما يكفل قوتى وقوت زوجتى وطفلى المسكين الذى حلت به نقمة السماء .. فولد مشوه الخلقة ملتوى الاطراف..وكأنما شاء القدر أن يمعن فى النكاية .. فاتخذ من بلواه هذه سببا يغرى أحد أغنياء روما ـ ممن يستطيبون الاتجار فى النفوس الحية ـ على أن يشتريه من مولاى ومولاه ولسوف نسلم المسكين غدا على كره منا .. أرأيت .. حتى شقاؤنامحسوب علينا .. لالنا ..

ـ وهب أن الله أبرأ ابنك من عاهاته ؟ .

ـ انه ينجو فى هذه الحال من أن يباع كسلعة .. فما حفز ذلك الثرى الى ابتياعه سوى ما ابتلى به من خلقة مشوهة .

وسار بولس الى الحجرة الاخرى .. فاذا بطفل مشوه كالضفدع يرقد فى أحد أركانها . والى جواره امرأة تمثلت فى مظهرها كل معالم البؤس واليأس .. فتقدم بولس من مضجع الولد .. وركع رافعا رأسه الى السماء .. وقد تجلت على أساريره آيات الايمان القوى الوطيد .. ومضى يصلى فى حرارة ويقين .. ثم مسح بيده على الطفل قائلا وقد انبلجت اساريره .. وغمره نور الهى :

ـ قم وتكلم باسم الاله الحى .. خالق السموات والارض .

فهمهم الطفل هاتفا : تبارك اسمك ياأبا الهلال ٠

وقفزت الام صارخة٠٠وهوى الاب على ركبتيه خاشعا ٠

وانسحب بولس من الحجرة هامسا لأكتيه : ها هى ذى أسرة من العبيد يغبطها أى امبراطور على ما اصابها من هنـاء ! ٠

وواصلا الرحلة عندما أرخى الليل سدوله ٠٠ وآكتيه لا تزال منساقة وراء الشيخ العجوز٠٠مسلمة اليه قيادها ٠ لا تحفل بسؤاله عن وجهته ومقصده ٠

وهكذا صارت آكتيه دون ان تعي ٠٠ فى نفس الطريق التى رافقت فيها نيرون عند عودته من كورنثه مظفرا ومرت بفوندى التى أحتفى عندها (جالبا) بنيرون وبالغ فى اكرامه فكان جزاؤه أن سعى نيرون عندما بلغ روما الى اقصائه عن ايطاليا كلهـا ٠٠ فعهد اليه بمنصب الحاكم فى اسبانيا ٠٠ وما درى أن تلهفه (جالبا) العجوز على أن يكون بعيـدا عن قبضة الامبراطور الغادر كان يفوق أضعافا لهفة نيرون على ابعاده ليـأمن وجود أى مزاحم يخشى خطره ٠ وليطمئن الى ثبات عرشه تحته ٠

كم من احداث وقعت مذ مرت آكتيـه مع نيرون للمرة الاولى ٠٠ خلال هذه الطريق ! ٠

وامتدت الرحلة لثلاثة أيام أخرى وثلاث ليال ٠٠ كانا يسريان فيها كلما هبط الظلام ٠٠ ويأويان اذا اقترب الفجر الى بيت أحد المسيحيين فيتخذانه مخبأ حتى الليلة التالية ٠٠ وعلى ضوء القمر فى الليلة الاخيرة ـ أشار العبد الذى كان يتقدمهما ـ ويدعى سيلاس ـ الى أنوار كانت تبدو عنـد

حافة الافق .. وهتفت :

ـ ها هي ذي روما .. خاتمة مطافنا !

فهبط بولس الى الارض راكعا .. يقدم الشكر لله .. بينمـــا استندت آكتيه الى قبر قريب تتفادى الوقوع .. وغشيها حزن مرير .. اذ رأت هـــذه الرحلة الشـــاقة المضنية .. تفضي بها أخيرا الى المكان الوحيد الذى ما كان ينبغى لها أن تطأ أرضه .

فصارحت الشيخ بأمرها .. فقال وهو ينهض ويتأهب لمتابعة الرحيل : ما الى روما نقصد فلا تخافى ولا تحزنى !

وبعد أن سارا ساعتين خلف سيلاس .. تحول هـذا يقودهما بين طبقات من الصخور المبعثرة كأنها بقايا جبل انهار أثر زلزال عنيف .. ثم هبـط فى ثغرة كفتحة الكهف .. وارتجفت آكتيه وترددت .. وسرت في جسدها قشعريرة .. وكأنما هى مقبـــلة على فم مفغور .. لوحش مفترس ومدت يدها .. فأمسكت بذراع بولس .. ولكنه هتف بها :

ـ لاتخشى شرا يا ابنتى .. فالله معنا .

وتنهدت وسارت معه الى الثغرة المظلمة .. متعثرا فى مدخلها ثم تقدما على هدى صوت سيلاس بين أعمـدة قائمة من الحجر .. لم يلبث سيلاس أن أوقد مشعلا .

وقال : لاخوف علينا الآن .. ولو أن كل جنود نيرون انطلقوا فى آثارنا يبحثون عنا .. لمـا استطاعوا أن يعثروا علينـــا .

ولم تتبين آكتيه فى بادىء الامر شيئا ممـا حولها .. ولكن عينيها لم تلبثا أن اعتادتا وهج المشـعل .. فاذا هم يسيرون أحيانا فى ممـر ضيق .. بين جدارين من الصخر

الاصم .. واذا هم أحيانا أخرى يقبلون على فسحات في الكهف تناثرت في جنباتها الاحجار وتخللتها الاعمدة العالية وكان كل ما حولهم صامتا صمت الموت .. وغشى قلب آكتيه شعور من الرهبة والوجوم .. ثم سمعت هي ورفيقاها فجأة أنغاما موسيقية تسرى الى آذانهم في سكون الكهف .. ولمحوا مصابيح أقيمت هنا وهناك .. وأبصرت آكتيه توابيت متراصة .. فارتجفت هلعا . .. وأمسكت بذراع بولس تطمئن ..

غير ان الطريق مالبثت ان خلت من التوابيت .. ولاحت لهم ساحة وكأنما هم فى شبه مدينة تحت الارض ــ وأشباح متشحة بالبياض . تنشد وتغنى على وقع الانغام .. وبدأوا يرون الزهور والاكاليل متناثرة على جنبات الطريق ..

وبعد أن ضربوا طويلا فى منعرجات تلك الطريق الممتدة تحت الارض ، انتهوا الى تلك الساحة . المنيرة . فاذا جمع من الرجال والنساء والاطفال يحتشدون فيها تحت أضواء المشاعل والمصابيح . وقد أخذوا ينشدون فى نغمات هادئة وادعة وهم ركوع خلف قس لم يلبث انه نهض وتقدم الى مذبح أعد فى الصدر . فما بلغه حتى التفت للقوم قائلا فى خشوع واجلال :

ــ بيننا الآن من هو أجدر منى بأن يفضى اليكم بكلمة الله . لانه سمعها من المسيح نفسه .. تقدم يابولس وبارك اخوتك .

وتقدم بولس من المذبح يبارك أنصار دينه الذين اجتمعوا لهذه المناسبة أثر وعد قطعة على نفسه أن يزورهم فى مدينتهم التى اتخذوها تحت الارض فرارا من طغيان

السلطات التي كانت تضطهد الدعوة المسيحية في بدء عهدها .

وركعت آكتيه مع الراكعـــين ـ في غير وعي منهـا ـ وأجالت بصرها فيما حولها . فتبينت ان هـــذه المدينة لم تكن سوى .. مقبرة روما القديمة التى أقيمـــت فى جوف الارض . فى المحاجر التى خلت بعد أن اقتلعت احجارهـــا لتستخدم فى اقامة صروح روما ! ..



كانت روما اذ ذاك فى مرحلة من تلك المراحـل التى لابد لكل كائن ـ بشرا كان أو أمة ـ أن يمر بها فى حياته ... مرحلة قلقة مضطربة . يودع فيها ماضيا آن له أن يندثر ، ويتاهب لمستقبل لايزال غامضا . دون أن يدرى شيئا من أمره .

كانت روما تشعر في تلك الاثناء بما تشعر بها الحامل جاءها المخاض على غير توقع أو ارتقاب فتولتهـــا الحمى . وعدمت الراحة والهدوء .. فقد نبتت فى أحشائهـــا بذرة حضارة جديدة ، ونما فى جوفهـــا دين جديد كان انصاره ومعتنقوه يتعهدونه ويباشرونه تحت أرض المدينة . دون أن يشعر الاحياء الذين فوقها بما يجرى .. فكانت مقبرة روما القديمة ـ مهد الدين الجديد ـ وكانت كهوفها المهجورة حتى قيام المسيحية ، الا من الفارين من وجه السلطات ، معبدا ثم ملجأ . ثم مدينـــة لاولئك الذين اعتنقوا الدين . فانطلقت السلطات تطاردهم وتسومهم الخسف والاضطهاد ..

على أن المسيحيين المضطهدين لم يقتصروا على الانسحاب من وجه الاضطهاد ، واللجوء الى المقبرة القديمة بل انهم كانوا يمدون ايدى المســاعدة لاخوانهم الذين يقع عليهم الخسف

والعذاب ، فينقذون منهم من لم يحل به بعد العقاب ، أو يتسللون خفية فى الظلام فيحملون جثث من أعدموا منهم الى حيث يوارونها التراب ، حتى لا تنهشها حشرات الارض أو تفتك بها العقبان ..

وعاشت آكتيه وسط هؤلاء القوم الذين عمروا مدينة الموتى المهجورة ، فرأت آيات محبتهم لبعضهم بعضا ، وتبادلهم العطف والحنان ، ماهفا بقلبها .. وكانت احزانها وشجونها تلهمها في بعض الاحيان ، فتنزوى فى ركن تعاني قسوة الصراع المحتدم فى أعماقها ، لا يدرى من أمرها أحد سوى بولس الذى يدعو بعض الفتيات الساذجات الطاهرات فيسألهن أن يصلين من أجلها عسى أن يرحمها الله ويهديها طريقه السوى .. وكأنما كان الله يستجيب لدعواتهن البريئة ، فلا تلبث الدموع أن تنساب من عينى الاغريقية المتعوسة ، فتكسر حدة الالم اللاعج ..

وبينما كان المسيحيون يعتصمون بمدينتهم القائمة تحت الارض ، كانت ثمة أحداث تقع فى روما تنذر بالنهاية .. كانت دنيا الوثنية تترنح كثمل فقد وعيه ، وكان نيرون يزداد اسرافا في بذخه ، ومجونه وخلاعته ، ويمعن فى الجمع بين ملذاته ، وشهواته .. ويتمادى فى البطش ، وفى تدبير المؤامرات وفى سفك الدماء ، والتخلص من كل من يخيل اليه ـ ولو عن وهم كاذب ـ انه قد ينتزع الملك من يده يوما ،

على انه فى غمرة لهوه وعبثه ، لم يخل من الهواجس التى راحت تبعث اليه الاشباح المخيفة ، من دنيا الوهم ، تهم به ، وتحاول النيل منه ، لاقدامه على قتل أمه .. فما لبث ان نزح عن روما فرارا من هذه الرؤيا ، وأقام فى نابولى ..

والتقى هناك ببوبيه فراحت توغر صدره على أوكتافيا

المسكينة ، التي انتزعتها اجريبينا من أحضان الزوج الذي تحبه ، فزوجتها من نيرون ليؤول اليه الملك ، وأشهدتهـا مصرع أبيها وأخيها ليخلو السبيل بين نيرون والعرش .. ثم أسلمتها للشقاء والتعاسة ، وهجرها نيرون الذي أبغضها اذ غصبته أمه على الزواج منها ، فنبذها ، بل وأقام حاشيتها عليها رقباء يحصون عليهـا حركاتها ويستغلون ضعفهـا ليدسوا لها .

وما كانت بوبيه لتقنع بأن تكون المقربة من نيرون ، بينما كانت زوجته الشقيةمنبوذة مضطهدة ، فقد كانت تدرك أن أهل روما يشفقون على أوكتافيا مما تلقاه من عنتوبأساء ، فالتفت قلوبهم حولها ..

وتردد نيرون توجسا مما راحتتوسوس بوبيه اليه .. ومن الجرائم ما يجفل منها أقسى المجرمين قلبا ، وأكثرهم عتوا وبطشا ، اذ لا يجد لها مبررا .. ولكن بوبيه كانت قد عقدت العزم على ان تستأثر بنيرون وملكه ،مهما كلفها ذلك من ثمن فسرعان ما دبرت مظاهرة زائفة ، سيرتفيها أعوانا مرتشين راحوا يهتفون مطالبين براسها ، محطمين تماثيلها ..

وأخمد الحراس المظاهرة المدبرة ، بينما هرعت هي الى نابولى تطلب الى الامبراطور ان يحميها ممن زعمت ان اوكتافيا أرسلتهم لقتلها ! ..

وهاجت ثائرة الامبراطور المأفون ، فامر أوكتافيـا ان تختار لها ميتة تنفذها بنفسها في نفسها ، فلما توسلت اليه واستعطفته ، وعصتها قواها ، مثل بهـا اشنع تمثيل ، ثم فصل رأسها عن جسدها ؛ وقدمه الى بوبيه هدية ؛ فما كان من الغانية الفاجرة الا ان وضعتالرأس على ركبتيها ، ورفعت أجفانه باصابعها .. وكأنما تبينت في عيني ضحيتها الميتة

نذيرا وتهديدا ، ففقأت العينين اللتين عميتا الى الابد عن نور الحيـــــاة •

وعاد نيرون الى روما يواصل عبثه ومجونه ، حتى أحست بوبيه ان زمامه أوشـــــك ان يفلت من يدها وانه اسرف في فضائحه ، فشاءت ان تكبح جماحه ، وتذرعت بدعوى انها قد حملت منه جنينـــا •• الى أن كان ذات يوم اذ أبت ان تذهب الى المسرح في حفل اقامه ليغني فيه ، فأحس انها طعنت كرامته طعنة أثارت جنونه •• فانهال عليها ركلا •• حتى قضى عليها •• ثم أفاق الى نفسه •• فهاله ما فعل • وتولاه الحزن عليها وشيع جثمانها كما لم يشيع من قبل في روما جثمان ••

وانقلب نيرون بعد ذلك يمعن في اضطهاد المسيحيين •• ملقيا عليهم تبعة جرائمه •• فراح يعمـــل فيهم يد التقتيل والتعذيب •• ثم فطن مرة الى ان جثث القتلى منهم لا تبقى في مكانها لتمثل بها العقبان والجوارح زيادة في النكاية وامعانا في القسوة •• فغاظه هذا •• ورصد الحراس ليلا •• فمـــا لبثوا ان قبضوا على عصبة المسيحيين الذين كانوا يتسللون من مدينـــة الموت تحت جنح الظلام ليحملوا جثث اخوانهـــم المستشهدين ويواروها التراب •• وكان على رأس العصبة • بولس ! •

واقبل سيلاس ــ وكان الوحيد الذى نجا من الحراس ــ يحمل النبأ الى المقيمين تحت الارض فركعوا يصلـــون لله كي ينقذ بولس واخوانه •• ولكن آكتيه بقيت جامدة في مكانها فهي رغم طول مقامها بين المسيحيين •• وفي رعاية بولس •• لم تشأ ان تستبدل بعقيدة أجدادها عقيدة أخرى ••

وانحنى عليها البعض باللائمة •• ظنا منهم انها لم تتأثر

لمصير بولس ·· ولكنها هتفت فى عزيمة صادقة :

ـ سأذهب الى روما غدا ·· واسعى جهدى لانقاذه ·

فقال سيلاس :

ـ واذا أخفقت فســـــاعود اليه والحق به فى سجنه لاموت معه ·

الفصل التاسع

غادرت آكتيه مدينة الموتى فى الصباح التالى ·· متشحة بملاءة أخفت كل معالمها ·· متمنطقة بخنجر ·· ساعية خلال النواحى المهجورة من الطريق المفضية الى روما ·· وقدعقدت عزمها على أن تبذل قصارى وسعها فى انقاذ بولس أو تسعى الى زيارته فتدفع اليه بالخنجر ·· جاهلة ان أولئـــك الذين اعتنقوا المسيحية فى بدايتها كانوا يستطيعون الاستشهاد فى سبيل عقيدتهم ·

واذا أشرفت على روما تسارعت نبضات قلبهـــا ·· وتخاذلت ســاقاها ·· وتولاها انفعال طاغ ·· وراحت تفكر فيما سيكون بينها وبين حبيبها الذى لم تره منذ الليلة التى تسللت فيها الى سفينة أجريبينا ·· وكادت تغرق معها ·

وتساءلت فى نفسها ·· ترى هل ستجد فيه لوشيس الحبيب ·· أو نيرون الرهيب ؟ ·· وخيل اليها انهـا كانت شبه ميتة خلال المدة التى أقامتها فى مدينة الموتى ·· ولكنها لم تكد تصعد الى ظهر الارض ·· فتسرى فى رئتيها نسمات الحياة ·· حتى بعثت من جديد ·· واستيقظ قلبهـــا وتفتح للحب ثانية ·

وتناسب كل الانباء التى سرت الى مدينةالموتى عن فظائع

نيرون وجرائمه .. فلم تعـــد تذكر سوى انه اليوم بلا حليلةوخليلة .. وداخلها قبس من الامل في أن يكون محتفظا في ركن قصي من قلبه بشيء من حبه لها .. الحب الذي كانت فيه حياتها وكيانها ! .

وكانت الساعة الســـابعة صباحا .. حين نفذت الى المدينة .. وكان اليوم من أيام السعد والاعياد في روما .. ولاحظت أن الطرقات تغص بالنـــاس .. فلم تدر أهي محض مصادفة .. أم هي بهجة اليوم السعيد .. أم أن هناك حفلا يترقبونه .

لم تدر السر .. ولكنها ابصرتهم يتجهون جميعا صوب (الكابيتول) فحذت حذوهم .. ومضت في طريقها لاتلوى على شيء .. لا تكاد تسمع أو ترى .. واذا اقتربت من ركن القصر البلاتيني .. رأت تماثيل الآلهة .. في أبهى زينات العيد .. ولاح لها الزحام تشتد وطأته كلمـــا اقتربت من (الكابيتول) ولكنها لم تكن لتحفل بما حولها..كان لوشيس هو كل بغيتها .. وكان لوشيس يعيش في القصر الذهبي واذن فلتسع الى هذا القصر .

بيد أنهـا حين أصبحت تحت اسواره انتبهت على أول منظر لما يوشك ان يصدمها من مفاجآت فقد رأت عربة فخمة أمام باب القصر . كسيت بمخمل ارجواني..وطرزت جوانبها بالذهب وسدلت على نوافذها ستائر شرقية . واهتز كيـان آكتيه .. وأحست بالعرق البارد يتفصد من جبينهـــا .. وغشيت عينيها غشاوة فلقد كانت العربة من عربات الاعراس وكانما شاءت ان تستوثق من خاطر طاف بذهنهـا فاقتربت من أحد العبيد الوقوف تسأله فأجابها بأن قران نيرون كان يعقد في تلك اللحظة في معبد جوبيتر .

وغشيتها موجة طاغية من الحب الجنوني ، فتناسعت كل شيء .. تناست مدينة الموتى والمهمة التى غادرتها من أجلها ، والامال التى علقها أهل تلك المدينة الارضيةعليها .. وامتدت يدها فشددت قبضتها حول الخنجر الــذى تحمله ، والغيرة الهوجاء تفرى قلبها ، ثم اندفعت لا تلوى على شيء نحــو (الكابيتول) غير عابئة بنظرات القوم الذين راحت تدفعهم عن طريقها ، وهي تنطلق في خطى سريعة ، وطيسدة ، حتى بلغت المعبد ..

وعند قدمي المعبود . وبين الشهود العشرة الذين تقتضى مراسيم الزواج حضورهم ، رأت العروسين وقد سدلا نقابين على وجهيهما لا يرفعان الا بعد انتهاء المراسيم ، كمـا كانت التقاليد تقضى وتقدم كبير كهنة الاله يحمل قدحا مليئا بمزيج من اللبن والنبيذ المعسول ، فقال للامبراطور :

يالوشيس دوميتيس كلوديس نيرون ، انني أهبـــك سابينا ، فكن لها زوجا ، وصديقا ، وحاميـا وأبا .. انني أكل اليك قضاء مصالحها الدنيوية ، واعتمد على صدق نيتك . وعقد راحة العروس براحة عريسها ، ثم رفع نقابها فكشف عن وجهها .. وآمنت آكتيه بما لم تشأ أن تصدقه حين سمعت اسم العروس .. كانت هذه حقا تلك الجارية أخت سبورس ، التى عضتها في حمام القصر يوم وصولها .. كان الامبراطور يعقد قرانه على جارية ، امام الله والملأ ! .

وتذكرت آكتيه تلك المشاعر الغريبة التي داخلتها عند لقائها الاول بالفتاة ، فتبينت انهـــا كانت خليطا من الغيرة والمقت ، بعثتها في نفسها غريزتها الفطرية كامرأة .. وها قد صدقت غريزتها .. فتزوج نيرون من الجارية التى أقامها على خدمتها ، ووهبها اياها في بدء حبهما .

وتناوبتها مشاعرمتباينة ، متضاربة .. وراحت تحاول أن تكذب سمعها وبصرها ، وقلبهـا ، فتأبى الحقيقة القاسية الا أن تفرض نفسها عليهافرضا .. أجل .. كانت العروس سابينا ، وقد ارتدت ثوب العرس ، وارتبطت بنيرون برباط لن يقدر له أن يحل ، اذا كانت القوانين الوثنيـــة الرومانية تحرم الطلاق .

ونهض العروسان ، وسارا الى باب المعبد، حيث كان فى انتظارهما أربعة رجال وأربع سيدات من أعرق وأنبل الاسرات وقد حملوا المشاعل .. وتقـــدم كبير من حاشية القيصر ، فاسلم نيرون التاج والوشاح اللذين طالما لبستهما الامبراطورات الرومانيات فوضعهما بيديه على رأس سابينا وكتفيها .

وهبطا الدرج فى جلال الى محفة مكشوفة لانظار القوم ، فتعالت الهتافات .

وتبعت آكتيه الموكب ، ظنا منها أن الامبراطور وعروسه سيتجهان فورا الى القصر الذهبى ، ولكن نيرون كان قد رسم خطته على أن يطوف بالعروس ارجاء روما ، فســـارت آكتيه مهمومة فى أثر الموكب أينما ذهب ، وهى تنصت الى الهتافات والاناشيد والخطب التى كان القوم يتبارون فى أزجائها ، كل كلمة منها تخز فى قلبها ، وتثير آلامها ..

وانتهى الموكب الى القصر الذهبى أخيرا ، فولجت آكتيه مع الجموع التى تدفقت خلال الابواب التى فتحت على مصاريعها احتفالا بهذه المناسبة السعيدة .. وكانت على دراية بدروبه وردهاته ، كما كان لباسها الابيض يخلع عليها مظهر الوصيفات فتسللت الى مخدع العروس .. واختفت بين الستـــائر .. وجمدت فى مخبئها .. نهبا لمختلف المشاعر والاحاســـيس

الجياشة المتضاربة •• حتى انقضت ساعتان طويلتان •• ثم سمعت ضجة واصواتا ووقع أقدام •• فادركت ان العروس قادمة •

وأقبلت سابينا أخيرا وفي معيتها أكبر وأعرق وصيفات القيصر •• أغلق الباب خلفهما وراحت الوصيفة تنضو عن العروس ثيابها •• فبقيت في قميص بسيط جعلها تبدو لعيني آكتيه في المنظر الذى رأتفيه سبورس - للمرة الاولى - وهو يغادر السفينة •• في ذيل لوشيس •• على شاطىء كورنثه وساءلت نفسها في عجب •• أحلم ما رأت ••ومما لا تزال ترى •• أم حقيقة ؟ • أكان الاخ والاخت شخصا واحدا يتقمص اى الشخصيتين تبعا للظروف ! وخيل اليها انها تكاد تجن ! •

وما لبثت الوصيفة ان انصرفت •• فما خلت العروس الى نفسها •• حتى تنهدت •• وأطلقت دمعتين كانت تكبحهما طيلة الوقت •• ثم رأت آكتيه فجأة تتحرك بين الستائر •• فقفزت في ذعر •• وصرخت خائفة •• حتى اذا تبينتها وعرفتها •• داخلها شيء من الطمأنينة وهتفت :

- أهذه أنت ياآكتيه ؟ ••

- أجل •• أنا بعينى •• ولكن من أنت ؟ •• اسابينا أنت ام سبورس ؟ •• أرجل أنت ام امرأة ؟ •• افصحى !•

فصاحت متهالكة عند قدمى الفتاة : واحسرتاه ! •• ماانا بهذا ولابذاك •

وسقط الخنجر من يد آكتيه •• وكانت قد قبضتعليه •• وفي تلك اللحظة •• فتح الباب •• واندفع منه عدد من العبيد اقبلوا مهرعين •• اذ تناهت لأسماعهم صرخة العروس•• فما رأوا آكتيه •• وسابينا متهالكة عند قدميها •• حتى

قبضوا عليها وزجت في السجن .. فاذا هي تلتقي ببولس وسيلاس .

وهتف بولس اذ رآها : كنت أتوقع مقدمك يا ابنتي ولاريب انك اخفقت في مسعاك فجئت تفضلين الموت معي ؟

فصاحت في لوعة : لايا أبتاه ! .. لقد نسيت أمرك .. فلا أراني جديرة بان تدعوني ابنتك .. انني حمقاء .. شقية .. متعوسة .. لا أستحق رحمة أو عفوا

ـ أو مازلت تحبينه ؟

ـ بل لم أعد أحبه .. ولكنني كنت مجنونة .. ومالأرى في الارض أو السماء من يستطيع أن ينقذني من جنوني

ـ تذكرى ماحدث لابن العبد المشوه .. وان الله الذي يبرىء الجسد .. لقمين ان يبرىء العقل .

ـ ولكن ابن العبد كان برىء النفس .. أما انا .. فلا براءة عندي .. ولا ايمان

ـ لاتقنطي من رحمة الله .. فالندم جزء من التوبة .

وركعت بجواره .. واسندت رأسها الى كتفه .. ومضت تنصت الى الحديث الذي راح يسكبه في أذنيها فينفذ الى قلبها .. فلا تملك له جوابا سوى البكاء

وما ان بزغ نورالصباح التالي .. حتى كانت أكتيه قد اعتنقت المسيحية .. وأطمأن قلبها الى الايمان .

وكانت العادة في السجون أن يختار كل يوم عدد من المجرمين المسجونين والمسيحيين المعتقلين ليلقوا الى السباع والنمور غذاء .. ومنهم من كانوا يختارون لمصير أروع وأفظع .. اذ كانوا يساقون الى الساحات العامة لينازلوا الوحوش في حفلات يقيمها الامبراطور .. ارضاء لغريزته الوحشية ..

وشاءت الصدف ، أن يفتح الحراس باب السجن في

الحفلة التي كان بولس يعمد فيها آكتيه وقد ركع حولهما أنصار المسيحية يصلون لله شكرا .. وسأل بولس الحراس عن غرضهم فأجاب رئيسهم : جئنا من أجل هذه الفتاة . فهى ملك للقيصر ...

فصاح : أخطأت ، فليس لكم عليها من سلطان .. انها ملك الله ! ..

وأغمى على آكتيه ، بينما أشار الرئيس الى اتباعه كى يقبضوا على بولس فيسوقوه الى الامبراطور بدلا من الفتاة .. وحكم عليه بالصلب ، فاعترض على الحكم طبقا لما يتيحه القانون الرومانى للمتهمين فأبدل الامبراطور الصلب بقطع العنق ..

على أن نيرون لم يكتف بالقضاء على تلميذ المسيح ، بل شاء أن يمضى فى نكايته بالمسيحيين الى أبعد حد .. وكانت الذكرى المئوية لوفاة يوليوس قيصر جد وشيكة ، فأذاع فى الناس أنه سيقيم حفلا عظيما ، يشهد فيه أهل روما أروع صراع شهده بين آدميين ووحوش ، وأنه سيدفع الى الحلبة فى ذلك اليوم بزمرة من المسيحيين المعتقلين ، وبعدد من الوحوش التى أرسلت اليه من أفريقيا حديثاً فلم تفقد بعد حدة غريزتها المفترسة ..

ولم يكن مستغربا من القوم أن يتلقوا النبأ فى تحمس . وأن يترقبوا الموعد فى صبر نافد ، فعلى الرغم من أن حفلات الصراع بين الآدميين والوحوش كانت مألوفة فى عهود الاباطرة السابقين ، الا أنها لم تبلغ فى أى وقت مابلغته فى عهد نيرون الذى فاق فى تعطشه لرؤية الدماء المراقة ، كل أسلافه السابقين ، والذى افتن فى تنظيم حفلات الصراع الآدمى الحيوانى افتنانا جعلها من أبهى حفلات ذاك العهد فى روما .

واذ حان اليوم تدفق الناس على ساحة الصراع فى سعيول

زاخرة حتى ضاقت بهم الساحة على سعتها ·· وجاء الامبراطور بنفسه يشهد المباراة · فاستقبله الناس فى عاصفة هوجاء من الحماسة والحفاوة ·· ولم يكد يستقر فى مقصورته حتى نزل الى الساحة بعض المصارعين المدربين ·· وكانوا من العبيد الذين ابتيعوا من سادتهم خصيصا لهذا الغرض على أن يكون جزاء من يفوز منهم على الوحش الذى ينازله فينجو بحياته ، أن ترد اليه حريته · وأن ترفع عنه قيود الاسترقاق ··

وعرض هؤلاء المصارعين بعض الالعاب الطريفة التى زادت من حماسة الحضور ··

على أن الجمهور لم يستطب طويلا هذا اللون ·· كانت اللهفة تطغى عليه ، الى رؤية ماهو أروع وأرحب واقوى على اثارة الغرائز الوحشية فى نفوس الناس ·· كان تواقا الى رؤية الصراع بين المسيحيين الذين اختيروا من المسجونين وبين الوحوش ··

وقبل أن ينتهى الشوط اقترب انيستس من الامبراطور · فأسلم اليه عددا من الرسائل · عكف نيرون توا على قراءتها فى قلق وتلهف ·· واربد وجهه واكفهرت ملامحه · واستغرق فى التفكير برهة ثم هب فجأة فاندفع خارج الساحة · مشيرا الى المسئولين كى يشرفوا على مواصلة الحفلة فى غيابه ··

وانتهى الشوط فازداد تحمس الجمهور اذ آن دوز الصراع بين الآدميين والوحوش ··

واتجهت الابصار صوب الباب الذى يساق منه المسجونون ·· وكانت الاولى امرأة أتتزرت من قمة رأسها الى أخمص قدميها بمئزر أبيض فاقتيدت الى شجرة ربطت اليها ·· ورفع أحد العبيد النقاب عن وجهها فبدا جميلا رغم شحوبه المفرطة وأثار منظرها تمتمة بين الجموع · فعلى الرغم من أنها

كانت مسيحية . الا أن رؤيتها هفت بعواطفهم وحركت قلوبهم الجاملة ..

وبينما كانوا يرمقونها . أقبل شاب من المسجونين من باب آخر . اذ كانت العادة تقتضي تعريض رجـــل وامرأة للوحش المفترس . حتى يجد الرجل نفسه مضطرا لا الى انقاذ حياته فحسب بل وحياة المرأة أيضا ..

وكانت المرأة تختار ـ لذلك ـ بحيث تكون أما أو أختا أو عشيقة له ـ اذ أمكن ذلك وتيسر ـ فيطيل وجودها من دورة الصراع . ويذكي احتدامها ..

وتقدم الشاب الى الساحة فى خطى بطيئة يتبعه عبدان يحمل أحدهما سيفا وعددا من الخناجر ويقود الآخر فرســا ليزوداه به عند بدء الصراع .. وتلفت حوله هادئا رزينا . ثم أشــار الى العبدين يصرفهما اذ لاحاجة به الى الاسلحة أو الفرس .. وتبدى الاستياء على الجماهير اذ كانوا يرتقبـون صراعا حاميا . فابصروا بالمسيحى يتأهب للاستشهاد . وهو فخر كان يسعى اليه آنذاك كل مؤمن مضطهد .. وبينمــا ركع يصلى راحوا يصيحون مطالبين بصلبه نكاية فيه فابدى الرجل غبطته بدلا من أن يتردد ويخاف ..

ولكنه سمع فى تلك اللحظة زفرة تند عن المرأة المربوطة الى الشجرة وسمعها تنادى باسمه فى صوت واهن فالتفت وما أن رآها حتى نهض واندفع نحوها صائحا :

ـ آكتيه ! ..

فهتفت به : ارحمني ياسيلاس ! .. لقد داخلنى الامل حين رأيتك اذ عرفت فيك سيلاس الجرىء الذى اعتاد أن ينازل الوحوش فى الغابات والصحراء فلم لاتناضل عسى أن تنقذ حياتينا معا .. وتجنبنا ميتة شنيعة .. اننى حديثة عهـد

باعتناق الدين فلست أدرى عن الاستشـــهاد شيئا •• ولو أنهم قتلونى لما تألمت ولكن •• تصور حالى اذ أراك تموت تلك الميتة القاسية البطيئة ، بين براثن الوحش •• كيف احتمل المنظر !؟ ••

– سأقاتل اذن ، فلاتحزنى وانى لذائق فيما بعد لذة الاستشهاد التى تحرميننى اليوم مـــذاقها •• الى بالفرس والسيف والخناجر ••

وصـــــاح الناس مغتبطين وراحوا يصفقون •• كانوا عطشى الى الدماء •• كانت غرائزهم الحيوانية بحاجة الى غذاء تستخلصه من الوحشية التى تبدو فى الصراع بين أخ لهم ووحش كاسر مفترس ••

وكان الجواد عربيا أصيلا ، كما كان شـــأن سيلاس ، فسرعان ما ائتلف الاثنان ••

وفيما كان سيلاس يتأهب ، فتح باب فى أحد الجوانب على مصراعيه ، ونفذ منه ثور قرطبى أهاجه العبيد واستفزوه، فما ان رأى الحشد وسمع الضجيج ، حتى ثبت أقدامه فى أرض الساحة وخفض رأسه فى تحـــد وراح يرمق سيلاس بعينين يتطاير الشرر منهما • بينما انبعث من أنفه الدخان •• والقى العبيد الى الســـاحة بدمية ليزيدوا من استثارته فاندفع اليها وطواها تحت حوافره • وبلغ به الهياج أقصى مبلغ •• واذذاك رشقه سيلاس بخنجر استقر فى احـــدى كتفيه ، فارسل خوارا رهيبا • وسار الى السورى ودماؤه تصبغ الرمال •• ولم يتحرك سيلاس من موقفه حتى اذا صار الثور على خطوات منه رشقه بخنجر آخر غاص بين كتفيه ، فوقف وترنح كانه يوشـــــك أن يقع • ثم استدار فجأة • واندفع نحو الفرس •• وجرى الفرس والآخر يطارده فى

ارجاء الساحة ..

على أن الخور مالبث أن تولى الثور ، فهوى على ركبتيه الاماميتين ، ولكنه سرعان مانهض فاندفع نحو سيلاس فى هجوم يائس مستميت ، واذ ذاك لمح آكتيه للمرة الاولى ، فتردد لحظة . ورفع منخاريه يشتمها ليتأكد من أنها كائن حى ثم استجمع قواه ، وهجم عليها ، فأطلقت المسكينة صرخة ذعر مدوية ، ولكن سيلاس كان أسرع منه فقفز على ظهر الجواد وو كزه حتى حمله بين الثور وآكتيه ، ثم قفز عن الجواد فصار فوق عنق الثور ، وأمسك باحدى يديه قرنه فاستعان به كى يلوى رأسه ، بينما أغمدت يده الاخرى السيف فى عنقه ، فغاص حتى مقبضه

وقضى على الثور .. وأقبل العبيد يحملون جثته .. بينما قدم غيرهم يحملون قوسا وعددا من النشاب وحربة .. يستعين بها سيلاس على غريمه الثانى .. الذى لم يكن غير أسد افريقى مهيب .. أقبل — حين أطلق — فى الجلال اللائق بملك الوحوش .. فمـــا أن ولج الساحة حتى زأر زأرة اقشعرت لها أبدان الحضور .. اللهم الا سيلاس الذى كان قد ألف الزئير منذ حداثته فى الصحراء

وسار الاسد فى تؤدة واعتداد .. يضرب الرمل — الذى نثر على الارض — بذيله غير عابىء بالمحاولات التى بذلت لاستثارته .. وفجأة مرق فى الجو سهم أطلقه سيلاس .. فاستقر فى احدى كتفيه .. فوقف لتوه .. وكأنه دهش لان فى الكون مخلوقا جرؤ على الاعتداء عليه . واحمرت عيناه .. وتحرك فكاه الضخمان .. ثم ند عنه زئير كقصف الرعد وانتزع بمخالبه السهم من كتفه .. فحطمه .. وجال بعينيه فى الحضور . فبعث الذعر والهلع فى قلوبهم ثم قفز فجأة

وانطلق يطارد الحصان .. فأجفل هذا وراح يدور حول الحلبة في سرعة زادها الخوف أضعافا

بيد أن الاسد كان حريصا على أن يضيق الخناق على الجواد المسكين .. الذى مالبث أن هوى عند السياج الحديدى المحيط بالساحة .. وتقدم الاسد من ضحيته فى عظمة المظفر الغالب .. ولكن سهما مرق فى الجو فنفذ بين ضلوعه .. فاستثار غضبه .. وأذكى سخطه فتحول نحو سيلاس الذى كان قد سدد سهما ثالثا أرسله فمزق وجه الاسد . وغاص فى عنقه

وفى عجلة خاطفة ، وعلى غير توقع من أحد . قفز الاسد على سيلاس . فتلقاه هذا بسن حربته .. وسالت الدماء .. ودار الصراع رهيبا عنيفا بين الغريمين .. وصرخت آكتيه فى فزع ولوعة .. ولكن سيلاس كان قد اقتص لنفسه .. فلم يمت الا وقد قتل غريمه ! ..

واتجهت الانظار نحو آكتيه . التى فارقها آخر أمل مع آخر نفس لفظه سيلاس .. ووجدت نفسها بلا حام أو نصير . فاستبد بها اليأس وحاولت أن تصلى فماتت الكلمات عند شفتيها ..

وعلى غير المعتاد . بل وعلى غير توقع . استدر ضعفها وذلتها اشفاق الجمهور فقام بعض افراده يطالبون بالعفو عنها .. ولكنهم اضطروا الى السكوت اذ اطلقت فى الساحة نمرة سارت متحفزة وقد فغرت فاها . فتبدت أنيابها الرهيبة ..

واقتربت النمرة من الشجرة التى ربطت اليها آكتيه فراحت تطوف حولها . وتتشمم الجو المحيط بها .. وأمسك الحضور انفاسهم اذ رأوا النمرة منبطحة على بطنها متحفزة .. وأغمضت آكتيه عينيها عن المصير الفظيع ...

وقفزت النمرة مستوية على قدميها • فتوقع الجميع ان اللحظة قد حانت • فتعالت صرخات الجزع من المشفقين •• ولكن النمرة استلقت عند قدمي آكتيه وراحت تلعق بشرتها •• وفتحت الفتاة عينيها فى دهشة • فاذا هى تتعرف فى النمرة على « فوبيه » الاليفة التى استانسها نيرون وروضها ••

وانطلقت صيحات الجمهور مدوية كالرعد تطالب بالعفو

وأفرج عن آكتيه • وأقبل الناس يهيلون عليها آيات العطف • ولكنها تحاشتهم وتسللت الى ركن من معبد ديانا• خلت فيه الى نفسها • فأطلقت لدموعها العنان • فى حسرة ولوعة وأسى ••• كانت وحيدة فى الحياة لا أب • ولا خليل ولا ناصح • ولا نصير •• بل ولا مأوى ! •••

وعند ما ارخى الليل سدوله ، سارت وحيدة • صامتة الى مدينة الموتى ••

وكشف الصباح التالى عن أمر الرسائل التى تلقاها نيرون ، فاكتأب وغادر ساحة الصراع فجأة •• فقد حملت الرسائل انباء ثورة الفرق التى أوفدها الامبراطور الى اسبانيا وبلاد الغال ، تحت قيادة جالبا وفيندكس

الفصل العاشر

بعد ثلاثة أشهر من الوقائع السابقة ، وعندما كان النهار يتهالك متعبا ـ بعد أن انهكه تساقط المطر منهمرا كالغيث ـ ليفسح الطريق لليل عاصف ثائر الرياح والزوابع ، خرج خمسة رجال من مدينة روما على صهوات الجياد • متبعين طريق « نومينتانا » وقد تدثروا وتزملوا حتى لم تكد وجوههم تبين ••

وما كان هياج أهل روما فى ذلك اليوم بأقل حدة من هياج الطبيعة وغضبها وكأنما كان هذا السخط المزدوج منصبا على رأس الشخص الذى بدا أنه الرئيس بين هؤلاء الخمسة الضاربين فى الظلام السارين فى جنح الليل • رغم العواصف والامطار •• فقد كان مثلهما خائفا يستحث جواده من آن لآخر ، ويجفل لسماع أية حركة مفاجئة ؟ ويرسل أنات آسية وزفرات ملتاعة كلما ازدادت ثورة الطبيعة عنفا •••

واذا ابتعدوا ميلا عن روما ، صادفهم فلاح يقبل على المدينة رغم الطقس الممطر العاصف ، فحاول قائد الجماعة ان يتحاشاه ، ولكنه استوقفه وسأله :

ـ أيها القادمون من روما ، ماذا يقول الناس عن نيرون ذى اللحية الحمراء ؟

فأجفل الرجل ، ولكن احد رفاقه أجاب عنه :

ـ يقولون انه هرب •

ـ والى أين قصد ؟

ـ سار نحو نابولى ، مجتازا طريق آبيا •

فشكرهم الرجل وانطلق نحو المدينة هاتفا : ليحى جالبا ، وليمت نيرون ! •

واذا قطعوا ميلا آخر ، اعترض سبيلهم أحد الجنود فسألهم عن أمرهم •

وأجابه واحد منهم :

ـ نحن من أنصار جالبا ، نبحث عن نيرون •

فصاح : أرجو ان تكونوا أحسن منى حظا •• وليحمكم جوبيتر ! •

وهم رئيس الجماعة أن يطيع خوفه ، فيلكز جواده

يستحثه ، لولا أن جذب أحد رفاقه العنان فساروا فى خطواتهم السابقة ، يمرون بين الفينة والفينة بمن يسألهم عن نيرون الذى هوى من شاهق مجده ، فتكاثر القوم يريد كل ان يكون صاحب الطعنة الاولى فى هيكل عزته .

والتقوا مرة بجندى استوقفهم .. وبينما كان يتحدث اليهم ، تعثر جواد رئيسهم ، فكاد يفقد توازنه .. وفيما هو يعتدل : سقط القنـــاع عن وجهه وابرقت السماء فى تلك اللحظة ، فما رأى الجندى على ضوئه وجه الرجل حتى هتف (يحيا القيصر !) وانطلق !

فما كان رئيس الجماعة سوى .. نيرون بذاته .. وقد فر من روما وهجر موطن لهوه وبذخه لينجـــو بحياته من الشعب الذى ثار عليه .

ولكن لنلق نظرة على الحوادث التى هبطت بالامبراطور من ذروة مجده .. الى الرغام ..

فى تاريخ العالم فترات يرى فيها الناس أمبراطوريات تستسلم للنعاس .. وتستكين الى الخمول والاستخذاء ..

وفجأة تدب فيها الحياة من جديد .. وكأنما هبط ملاك الحرية من السماء على حين غرة .. ليبعث قبســا من الضوء خلال الظلام الذى تعيش فيه .. واذ ذاك .. ومهما بلغت تلك الامبراطوريات من الاتساع تنتشر النار فى ارجائها بسرعة موقظة الشعوب خالقة بين بعضها وبعض رابطة واحدة .. رابطة الثورة فى سبيل الحرية .. فلا يلبث النداء ان يتردد من كل الجهات ومن جميع النواحى وعلى مختلف الالسنة وفى متباين اللغات .

وهذا عين ما حدث .. فما ان قام جالبــا فى اسبانيا وفيندكس فى بلاد الغال يعلنان الثورة على نيرون حتى سرت

الروح في كل جسد الامبراطورية الرومانية ٠٠ وكان فيندكس جريئا ٠ ولكن جالبـــا كان مترددا تردد الحريص المتزن الرزين ٠٠ ومن ثم سرعان ما جمع فيندكس أبناء الغال حوله ثم راح يكاتب جالبا الذي كان يعمل مذ هبط اسبانيا على توطيد مركزه ، وعلى التقرب الى القوم ، فجمع خيرة الرجال والانصار ، وعرض عليهـــم الامر ، فتلقوا ما عرضه عليهم في حيرة وتردد وارتبـاك ، الى أن هب من بينهم جرىء مقدام يدعى تيتس فينوس ، فصاح :

ـ اذا شئت ياجالبـــا أن تتآمر لترى مدى ولائنـــا لنيرون ، ففي تآمرك واجتماعنا بك خير تأكيد لعدم الولاء ٠٠ فاما أن نقبل صداقة فيندكس ، وكأننا ارتضـــينا أن يكون نيرون عدونا ، واما أن تناصبه هو الآخر العـــداء ٠ فنعلن الحرب عليه ، ونذيع على الناس أننـا اخترناك امبراطورا ، لتحل محل نيرون الطاغية ٠

وأعقب الاجتماع الخاص المتكـتم ، اجتماع عام سافر شامل ، أعلن فيه تنصيب جالبـــا امبراطورا وبينما كان فيندكس يتهيأ لمحاربة روما ، وجد نفســـه في بادىء الامر مضطرا الى محاربة جالبا أولا ٠٠ اذ سير هذا الفرق الرومانية التي كانت في اسبانيا الى بلاد الغال ٠

وفرح نيرون اذ ظن أن هذا الخلاف مخلصة من النتائج الوخيمة التي كانت متوقعة من وراء الثورة ٠٠ وبدلا من أن يستعد ويتأهب ٠٠ عاد يغرق نفسه وبلاطه في ملاذه وبذخه ومباذله ٠

وانتصر جالبا على فيندكس الذي وجد قتيلا في خيمته بعد المعركة ٠٠ ولم يبق أمامه ســـوى غريم واحد ٠٠ هو نيرون ٠٠ ولكن نيرون كان فرحا مثله ٠٠ اذ رأى نفسه في

نفس موقفه وقد غدا أمامه غريم واحد .. بدلا من اثنين .

غير أن شرارة الثورة كانت قد سرت الى روما نفسها فلسعتها وأيقظتها من سباتها .. وراح أعوان جالبا يعملون متخفين ، يثيرون الرأى العام..ويكشفون عن فضائح القيصر وعن مباذله وتهتكه .. وبدأ نيرون يرى القوم يتهكمون به ساخرين للمرة الاولى .. وبدأ يرى تماثيله فى الميادين موضع عبث الساخرين .

وتمت اليقظة أخيرا .. وتعالت الصيحات فى جنبات روما .. فاستشاط .. وأعماه الغضب . فراح يضع مختلف الخطط للانتقام من المدينة التى جرؤ أهلهـــا على السخرية منه .. وكانت خططا جنونية .. بعضها يرمى الى السماح لاعدائه بالفتك بجيوشه .. عملا بالمثـل السائر (على وعلى أعدائى) وبعضها يقتضى دعوة أعضاء مجلس الامة والشيوخ الى وليمة يدس لهم فيها السم فى الدسم .. على أن أفظعها وأكثرها جنونا .. كانت خطة أوحى له فيهـــا شيطانه .. ليضرم النار فى روما مرة أخرى..ويطلق وحوشه المفترسة فى الوقت عينه .. فتفتك بالقوم . وبوسيلة خفية تسربت الالواح التى سجل عليها هذه الخطط الى أيدى أعوان جالبا .. فرأوا أن الساعة قد حانت ووقفوا فى ميـادين روما يدعون الناس للثورة .. ويطلعونهم على ما أعد الامبراطور المتهوس للانتقام منهم .. وتصادف أن كانت السفن التى تحمل مؤونة روما من القمح المصدر من الاسكندرية قد تأخرت .. وراح القوم يعانون أزمة قاسية .. لا يجد معظمهم خلالها الخبز .

وتعاونت كل العوامل .. فهبت العاصفة .. وانفجر الحقد الكامن فى الصدور . واجتاحت روما ثورة عنيفة .

ووجد نيرون نفسه وحيدا وقد انفض من حوله أنصاره

وزملاؤه في اللهو والعبث ·· وراح الشعب يطالب برأسه ·· لم يبق حوله غير سبورس ، وايبافروديتس ، وخادمين من عتقائه ·

وذهب الموقف بعقله ، واستبد به حب الحيـاة ، فكاد يجن ·· لولا أن عرض عليـه ايبافروديتس أن يؤويه في ضيعة له على مبعدة من روما ·· ريثمـا تهدأ الثورة ·· ويستعيد سلطانه على جيوشه ·· فيسيرها على العصاة ·

وهكذا ·· خرج في تلك الليلة العاصفة ·· يسعى الى ضيعة ايبافروديتس يحوطه الاربعة الـذين بقوا حوله ·· بينما كان الجميـع يبحثون عنه ·· ليقدموا رأسه للشعب الثائر الهائج ·

واستطاعوا أن يصلوا الى الضيعة في سلام ·· وفي حجرة حقيرة كان يسكنها العبد القائم على حراستها · جثا الامبراطور على فراش خشن رث · وهو يرتجف خوفا وهلعا · وقد أعماه حب الحياة عن كل شيء ·· ولكنه ما كاد يستقر ·· حتى لحقته رسالة ·· تعلن اليه أن مجلس الامة قـد اجتمع ونادى به عدوا للامبراطورية ·· وأطلق في أثره الرجال للقصاص ·

وفكر في الفرار حين أزجى اليه سبورس النبـأ على انفراد ·· فهتف العبد :

ـ الفرار !؟ ·· وانى لك هذه النعمة ؟ لقـد سدت عليك الطرق والمنافذ فلا مخرج لك من هذه الحجرة ·

ولم يصدقه نيرون بادىء الامر ·· ولكنه لم يلبث أن تبين أنه لم يكذبه القول ·· فصاح يسأله عمن دبر ذلك ·· فأجابه في برود :

ـ أنا والتابعان ·

ــ ولماذا فعلتم ذلك ؟
فاجابه فى لهجة تفيض بالحقد : لتموت حيث أنت ! .
وصاح نيرون مخبولا وهو يتخبط : أموت ! لماذا يسعى كل فرد الى موتى ؟ لماذا ينبذنى كل فرد ويتخلى عنى ؟
ــ حقا كل فرد ينشد موتك.ولكن هناك من لم يتخل عنك . فها أنذا قد جئت لاموت معك .
فتمتم نيرون وهو يتهـــالك حزينا : آه ! ما زال فى الدنيا وفاء !
ولكن العبد أجابه فى فتور : تخطىء اذا ظننت هذا وفاء .. انما هو انتقام !
فبهت نيرون وصاح : انتقام ؟ وبمـــاذا أسأت اليك يا سبورس ؟ .
ــ أو حقا لا تدرى ؟ أو لست أنت الذى جعل منى عبدا حرم من كل ما يبعث الامل فى نفوس الرجال ؟ لقد اغدقت على الوان المسرات .. كما يعرض اللحم والشراب على الجائع المكتوف اليدين المكمم الفم .. البستنى الحرير والمخمل .. وأجبرتنى على أن أبتسم كما يبتسم السعداء . بينما كنت أعيش على هامش الحياة كشبح حائل .. لو أنك قضيت على كما قضيت على بريتانيكس واجريبينا وغيرهما لأرحتنى .. ولكنك رحت تعاملنى ، لا كما لو كنت رجلا .. لا ولا كما لو كنت امرأة .. وانما كما لو كنت العوبة تتصرف بها كمـــا تشاء . اذقتنى الهوان فى قالب الايثار .. وأسقيتنى الذل فى كأس العز وأريتنى الشجون فى أثواب المسرات .. كنت لا أملك من نفسى شيئا .. كنت عبدا لك .. كنت كلبا .. بل حشرة طفيلية ..
وصمت سبورس برهة .. ثم اســـتطرد فى كراهية

طاغية ومع ذلك فقد كان فى وسع ذاك العبد .. الكلب .. الحشرة الطفيلية كان فى وسعى أن أفكر فى الانتقام فأسلمت الالواح التى ضمنتها خططك ضد روما وأهلها لعمال جاليا . وسرقت السم الذى كنت أعددته لتتخلص من حياتك فى لحظة سقوطك حتي لاتجنب نفسك مشهد ذلك .. وعملت على أن أسلمك لاعدائك حيا كي يمثلوا بك ابشع تمثيل .

فصاح نيرون وهو ينتضى خنجرا من بين طيات ثيابه : خسئت . فقد بقى لى هذا يخلصنى من العار ..

ـ واين لك الشجاعة التى تمكنك من استعماله ؟ .

وقرب نيرون الخنجر من صدره حتى مس ذبابه بشرته وقال : بل سترى كيف أجرؤ . ولكن ، لقد عشت فى العار وسأموت مضرجا به ! كم ستخسر الدنيا فى شخصى موسيقيا موهوبا . ومغنيا مطربا ! ..

وأمسك اذ سمع وقع حوافر جياد مقبلة فهتف سبورس : هاهم الجنود قد جاءوا لاعتقال عدو الوطن ..

واندفع ايبافروديتس يعلن نفس النبأ فصرخ نيرون فى جزع ودفع الخنجر الى قلبه فهرع سبورس وايبافروديتس ينشدان النجاة قبل مقدم الجنود ..

وأفاق نيرون الى نفسه فانتزع الخنجر من صدره وقد عاوده حب الحياة ..

وحاول أن ينهض من كبوته فعجز .. تدفق الدم من صدره غزيرا . فحاول أن يسد الجرح بقبضته ثم تلفت حوله . فلما رأى نفسه وحيدا تهالك على الارض يئن ـ ودفع الباب فى تلك اللحظة بعنف ونفذ منه جندى . فما أن رأى الامبراطور ملقى على الارض مضرجا بالدماء حتى هرع نحوه وحاول أن يسد بوشاحه الجرح ليبقى عليه حيا ريثما

يسلمه الى نواب الامة فيفوز بالمكافأة التى وضــعت لمن يأتى به حيـــا ..

ولكن نيرون دفعه عنه وقال مؤنبا : أهذه يمين الولاء التى أقسمتها لى ؟ ..

ولفظ آخر أنفاسه مع آخر كلماته .

واقبل فى تلك اللحظة زميلان للجندي ولكن الصيد كان قد أفلت من أيديهم الى الابد فاسرعوا الى روما يعلنون النبأ .

وبقيت الجثة فى مكانها طيلة النهار فلما أقبل الليل أقبلت معه آكتيه فتسللت الى الحجرة شاحبة الوجه فراحت تغسل الجثة ثم نقلتها فى عربة صحبتها فى مجيئها بعد أن حصلت على اذن ممن أنابه جالبا عنه فى السيطرة على أزمة الامور فى روما ريثما يصل ..

وفى جنازة بسيطة هادئة شيعت آكتيه فى اليوم التالى جثمان الرجل الذى أحبته والامبراطور الذى أبغضته فدفنته فى القبر الذى كان قد شــيده لنفسه فى مقبرة أجداده ثم ركعت بجواره جامدة كالتمثال تستعرض ماضيهــا وذكريات حبها العجيب ..

وعندما أقبل المساء هبطت التل وسارت فى خطى هادئة واجمة وكأنها شبح خرج من المقبرة ، فيممت شطر المدينـة التى عاشت فيها حقبة من الزمن تحت أرض روما شطر مدينة الموتى !! ..

كانت هى المأوى الوحيد ، الذى تستطيع أن تجد فى أحضانه مقاما لها ريثما يواتيها الاجل ! ..

تمـــت